INSTITUT DU MONDE ARABE

معهد العالم العربي

كرسي المعهد

King Faisal PRIZE

جان - جاك - أنطوان دي پرسڤال

JEAN-JACQUES ANTOINE DE PERCEVAL

أرمان - بيار دي پرسڤال

ARMAND-PIERRE DE PERCEVAL

جرجورة حردان

جان-جاك-أنطوان
دي پرسڤال
JEAN-JACQUES ANTOINE
DE PERCEVAL

أرمان-بيار
دي پرسڤال
ARMAND-PIERRE
DE PERCEVAL

الكتاب : **جان-جاك-أنطوان دي پرسڤال / أرمان-بيار دي پرسڤال**
المؤلف : **جرجورة حردان**
الطبعة : الأولى 2022
عدد الصفحات : 128
القياس : 13 × 19
الإيداع القانوني : 2022MO0742
الترقيم الدولي : 978-9920-677-27-1

جميع الحقوق محفوظة

المركز الثقافي للكتاب

الدار البيضاء / المغرب
6، زنقة التيكر
هاتف : 212522810406+
فاكس : 212522810407+
markazkitab@gmail.com

بيروت / لبنان
الحمراء ـ شارع المقدسي ـ بناء بلبيسي
هاتف : 9611747422+
فاكس : 9611744733+

INSTITUT
DU MONDE
ARABE

معهد العالم العربي

كرسي المعهد

King Faisal
PRIZE

جان-جاك-أنطوان
دي پرسڤال

JEAN-JACQUES ANTOINE
DE PERCEVAL

أرمان-بيار
دي پرسڤال

ARMAND-PIERRE
DE PERCEVAL

جرجورة حردان

المركز الثقافي للكتاب
للنشر والتوزيع

المحتويات

عتبـــة..... 7

المقدمة: الولد سرّ أبيه..... 9

جان-جاك-أنطوان كوسّان دي پرسڤال..... 11

الباب الأوّل: المريد في المعترك..... 11

الباب الثّاني: نتاجه في الغربال..... 33

أولًا: حول الأبجديّة التّدمريّة..... 34

ثانيًا: حول التّرجمات إلى العربيّة..... 34

ثالثًا: حول الآثار العربيّة المنشورة..... 38

الخاتمة: مرآة تعكس وجوهًا..... 40

مختارات من نتاج جان-جاك أنطوان كوسّان دي پرسڤال.... 41

مختارات ممّا قيل في جان-جاك أنطوان كوسّان دي پرسڤال.. 56

من أهمّ أعمال جان-جاك أنطوان كوسّان دي پرسڤال.. 64

أرمان-بيار كوسّان دي پرسڤال..... 67

الباب الأوّل: المريد بين النّزول إلى الميدان وسهر الليالي 67

الباب الثّاني: نتاجه في الغربال..... 92
أوّلًا: حول المعجم..... 92
ثانيًا: حول كتاب النّحو..... 93
ثالثًا: حول الأخطل والفرزدق وجرير..... 94
رابعًا: حول تاريخ العرب قبل الإسلام..... 94
خامسًا: حول نوادر الموسيقيّين..... 95
الخاتمة: النتاج مرآة صاحبِه..... 96
مختارات من نتاج أرمان-بيار دي پرسڤال..... 97
مختارات ممّا قيل في أرمان-بيار كوسّان دي پرسڤال..... 115
من أهمّ أعمال أرمان-بيار كوسّان دي پرسڤال..... 125

عتبــة

يصـدر هذا الكتاب ضمن مشروع معرفي طموح، تبنته ونفذته مؤسستان ثقافيتان كبيرتان، هما "جائزة الملك فيصل" بالرياض، و"معهــد العالــم العربي" في باريس، ممثلاً في "كرسي المعهد". يهدف هذا المشروع إلى التعريف بمائة عالم وباحث، من العــرب والفرنسيين، ساهموا في تقديم إحدى الثقافتين للأخرى. لقد كرس هؤلاء الباحثون والمثقفون، العرب والفرنسيون، جهودهم لتعزيز مختلف أشكال الحوار الجاد، والتفاعل الخلاق بين ضفتي المتوسط، خلال القرنين الماضيين. وبفضل منجزاتهم الاستثنائية استحقوا الاحتفاء بهم، والكتابة عنهم، من أجل تخليد ذكراهم، والتعريف بهم لدى الأجيال التالية؛ التي نأمل أن ينظروا إليهم باعتبارهم رموزاً مشعة، تلهم العقول، وتضيء مسالك المستقبل، لكل من يعي أن الثقافة بمكوناتها العلمية والفكرية والجمالية، هي الطريق الأمثل للتعارف والتعاون بين البشر.

اختيار ستين شخصية عربية، وأربعين شخصية فرنسية، جاء نتيجة لعمل مهني متصل، بذلته لجنة علمية مشتركة

على مدار أشهر. حرصت اللجنة أن تكون الأسماء المختارة ممثلة، قدر الممكن، لمختلف الفترات التاريخية، والتخصصات المعرفية، والتوجهات الفكرية والإبداعية. إننا ندرك تماماً أن في كل اختيار مخاطرة. ولو كتبنا عن ألف شخصية وأكثر، فسيظل هناك أعلام يستحقون الحضور ضمن هذه السلسلة.

يتوجه هذا المشروع الثقافي إلى قارئ عام يقظ، قد يدفعه فضوله إلى المزيد من البحث المعمق في منجزات هؤلاء الوسطاء الثقافيين، الذين طالما استمتعنا بكتاباتهم، وأفدنا من أفكارهم الغنية المجددة.

إنها قناعة من المؤسستين بإضاءة مائة شمعة، تدشيناً لعمل مفتوح، نأمل أن يتممه آخرون من بعدنا، وهنا يحقق المشروع أهدافه الأكثر جمالاً ونبلاً.

خالص التقدير للمؤلفين، الذين آمنوا معنا بالفكرة، وساهموا في تحقيقها. والشكر الأوفر لصاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل، رئيس هيئة الجائزة، والسيد جاك لانغ، رئيس المعهد، لدعمهما ومتابعتهما للمشروع. والله الموفق.

أمين عام الجائزة	مدير عام المعهد
عبد العزيز السبيل	معجب الزهراني

المقدّمة

الولد سرّ أبيه

ليس من النادر أن تستهوي مهنةُ الأب ابنه فيسير الثّاني على خطى الأوّل درسًا وتخصّصًا وعملًا، كما لم يكن نادرًا أن يؤثّر المستشرقون الذين كرّسوا حياتهم لاكتشاف معالم الشّرق وحضارته ولغاته في محيطهم العائليّ. غير أن ظاهرة المستشرِقَين الشهيرَين جان-جاك-أنطوان وابنِه أرمان-پيار المنتمِيَين إلى عائلة كوسّان دي پرسڤال[1] تبقى حالة فريدة في عالم الاستشراق نعرضها على قرّاء العربية، معرّفين بمسار الأب أوّلًا وبمسار الابن ثانيًا، في حياتهما، وإعدادهما، وتعليمهما، وفكرهما، وأبحاثهما، ونتاجهما، والأثر الذي تركاه في قرّائهما وزملائهما ونقّادهما.

---

(1) Jean-Jacques-Antoine, Armand-Pierre, Caussin De Perceval, ننقل أسماء العلم، بشكل عام، كما تُلفظ بالفرنسيّة، لا كما تكتب، وفي بعض الحالات، ننقُلها كما أصبحت مُتَداوَلَة في المؤلّفات العربيّة.

جان-جاك-أنطوان كوسّان دي پرسڤال

الباب الأوّل: المريد في المعترك

التّمهيد

لم يكتفِ جان-جاك-أنطوان كوسّان دي پرسڤال بمدّة تحصيل مدرسيّ وجامعيّ تقليديّة، أدّت به، عبر إعداد مميّز ومتفوّق، إلى مركز علميٍّ مرموق وصل إليه، واستقرّ فيه، قائمًا بالواجبات المترتّبة عليه، بل قادَه طموحُه إلى أن يكرّس حياته كلّها[1] في سبيل الاستشراق بعامّة، وفي سبيل اللغة العربية، وحضارتها، وروائعها العلميّة والأدبيّة بخاصّةٍ، فغدا علَمًا من أَعلام المبدعين فيها تعليمًا، وبحثًا، وترجمةً، ونشرًا.

(1) أطلقنا على المستشرقَين، الأب والابن، لقب "المريد"، وهو مفهوم استعرناه من المقاربة الصّوفية، لا لدلالته الدّينيةّ التي ترى في تصرّفه تتلمُذًا على يد "شيخ" بلغ مصافّ الدّرجات العُلى، في الوصول إلى حضرة الخالق، بل لدلالته التعليميّة والتربوية الّتي تعني "استمرار فعل الإرادة" في اكتشاف المعرفة، وتوسيعها، وترسيخها، على مدى الحياة.

غير أنّه ينتمي إلى المستشرقين الّذين لم يرحلوا إلى أرض الشّرق، وإلى بلاد العرب، ولم يتعرّفوا ميدانيّا إلى أهلها، وأجوائها، وعاداتها، بل تجوّل، مدى حياته، بين مخطوطات روائعها، وترجماتها، المتوافرة في كنوز المكتبات الفرنسيّة التي قضى معظم أوقاته فيها.

أوّلًا: هو

ولد جان-جاك-أنطوان كوسّان دي پرسڤال في 24 حزيران 1759 في مدينة موندیديه[1] في فرنسة، وهي مدينة أنتجت كوكبةً من الأَعلام ذاع صيتهم في المجالات العلميّة والأدبيّة بعامّة وفي عالم الاستشراق بخاصّة، من بينهم بيجو[2]، عمّ المستشرق، الذي حثّ الأخير على الالتحاق به باكرًا في باريس، والانصراف إلى الدّرس والتّحصيل على يد المستشرق الشّهير، والأستاذ الكبير، الأب برتيليمي[3] في مجالات الآداب اليونانية واللاتينيّة، والتّاريخ، والجغرافية، ومؤسّسات الشّعوب القديمة. وكان يتابع في

---

(1) Montdidier

(2) Béjot

(3) Barthélemy : استعملنا اللقب المتداول بالعربيّة، "الأب"، والدّال على ألقاب كنسيّة فرنسيّة متعدّدة متخصّصة كلقب "القسّ" أو "رئيس الدير" المستعمَل بالفرنسيّة هنا.

الوقت عينه، في "معهد فرنسة" المعروف عالميًّا بتسميته الفرنسيّة "كولّيج دي فرانس"[1] ، دروسًا في اللّغات الشّرقيّة بعامّة، وفي العربيّة والعبريّة بخاصّةٍ، على يد المستشرقَين كاردون[2] وديهوتري[3] المعروفَين بإتقانهما العربيّة وبأساليب تعليمهما المشوِّقة، فبلغ في العربيّة مستوى عاليًا خوّله استعمالها بطلاقة، شفهيًّا وكتابيًّا، والغوص في خصائصها، وتعليمها، والترجمة منها إلى الفرنسيّة. وهكذا أصبح مُهيّأً للانطلاق في تعليمها وترجمة بعض روائعها. والمميّز في إعداده ميلٌ فطريّ، لم يفارقه مدى حياته، إلى العلوم بعامّة والرّياضيّات بخاصّة، ما وضعه في خانة الأدباء واللّغويّين النادرين الذين جمعوا بين صرامة المنطق العلمي وفنّ الكتابة اللّغويّة والأدبيّة، فأنتجوا وأبدعوا في المجالين.

---

(1) وهي مؤسّسة فرنسيّة أنشأها الملك فرنسوا الأوّل سنة 1530 تهتمّ في الأساس بالبحث العلمي، غير أنّ الباحثين الذين يشغلون كراسيها الأكاديميّة، وهم من النخبة، يؤمّنون دروسًا مفتوحةً أمام جمهور طالبي العلم، بدون شروط للتسجيل أو شهادات تُمنَح في نهاية الدّروس.
وللتّمييز بينها وبين "معهد فرنسة" Institut de France (راجع الحاشية أدناه رقم 18) نُلحِق في نصّنا التّسمية العربيّة "معهد فرنسة" بالتّسمية الفرنسيّة: (Collège de France) منسوخة إلى العربيّة كما تُلفظ "كولّيج دي فرانس"

(2) Cardonne

(3) Deshautrays

ثانيًا: المعلّم

ما قاد المستشرق باكرًا إلى عالم التّعليم وتبوّئه أعلى المناصب في صروحه العريقة بروز مواهبه أوّل مرّة في دفاعه[1] عن الشّرح الذي قدّمه أستاذه الأب برتيليمي عن الأبجديّة التّدمريّة[2] ونقوشها، ردًّا على اعتراضات البحّاثة أنطوان جيورجي، وقد سمحت له هذه المناسبة لا بالتّعبير عن عرفان فضل أستاذه فحسب، بل بإظهار مستوى تفوّقه في التفكير والنقاش والكتابة، وفرضِ نفسِه في عالم البحث والتعليم العالي: فها هو، في سن الرابعة والعشرين، يخلف أستاذه ديهوتري، في كرسيّ اللّغة العربيّة في "معهد فرنسة – كولّيج دي فرانس"، ويحافظ عليها، لغاية سنة 1830.

ثالثًا: الحافظ

وها هو، في الحقبة عينها، يلتحق بفرع المخطوطات في مكتبة الملك[3]، ويُعيَّن فيها رقيبًا ملكيًّا. وبعد أربع سنوات،

---

(1) "رسالة السّيّد كوسّان حول كتاب عنوانه: *عن نقوش تدمر المحفوظة في متحف الكابيتول*"، في: *جريدة العلماء*، نيسان، 1783، ص.ص. 215–221 https://gallica.bnf.fr/ark:/12148/bpt6k57214x/f249.item.r=Avril%201783

(2) الأبجدية التّدمريّة أبجديّة ساميّة استُخدمت في مدينة تدمر من القرن الثالث أو القرن الثاني قبل الميلاد إلى عام 272 بعد الميلاد.

(3) "مكتبة الملك" أنشأها الملك شارل الخامس، وعَرَفت مع تغيّر النظام في فرنسة تسميات متعدّدة كانت على التّوالي: "المكتبة الإمبراطوريّة"،=

توفي عمّه بيجو، فخَلفَه حافظًا للمخطوطات في مكتبة الملك لغاية 1792، فانصرف إلى تأمين المهمّتين اللّتين أوكلتا إليه: دروسه في "معهد فرنسة – كولّيج دس فرانس"، وعمله الجديد في المكتبة، بعيدًا عن جوّ الاضطرابات التي كانت تعصف في فرنسة، في تلك الحقبة، بعد اندلاع الثورة الفرنسيّة في 1789، وتعرّضها لبعض المؤسّسات التعليميّة ولبعض الأساتذة والباحثين العاملين فيها.

رابعًا: البحّاثة

غير أنّ شغله الشاغل، منذ بداية تحصيله، وطوال حياته، فكان اهتمامه بالبحث، والتّعمّق فيه، واستثماره في نشاطاته جميعها، من التّعليم، إلى التّرجمة والنشر. وما دفاعه عن أستاذه حول أبجديّة تدمر إلّا دليلٌ مبكّرٌ على شغفه بالبحث واستعداده لتجنيد ما عنده من طاقات في سبيل إنجازه على أكمل وجه.

خامسًا: المترجم

لم يكن دفاع المستشرق عن أستاذه حول أبجديّة تدمر دليلًا قاطعًا على طاقته في البحث فحسب، بل مزيجًا من الترجمة

= "المكتبة الملكيّة"، وأخيرًا سنة 1871 "المكتبة الوطنيّة" المعروفة اليوم بتسميتها المُتداوَلَة: "المكتبة الوطنيّة الفرنسيّة"

والبحث في فعل الترجمة ونتاجها سيطبع كامل مساره العلمي، ويجعل منه، في الوقت عينه، عَلَماً من أَعلام الترجمة، من العربيّة واليونانيّة إلى الفرنسيّة، وناقدًا من كبار نقّادها، كما عُرِف بتملّكه من أيّ نصٍّ اختار ترجمته تملّكًا محكمًا، ومن إتقانه فنّ تكييف مضمونه ومعالمه مع تراكيب اللّغة الفرنسيّة التي يترجم إليها. وقد طبعت مساره في الترجمة ميزة ثالثة تمثّلت في فنِّ التّحقيق في النصوص القديمة، في سبيل الوصول إلى الأصيل منها والتّخلّي عن المشكوك فيها، قبل المباشرة في ترجمة ما تمَّ اختياره منها، مستثمرًا في مقاربته التّحقيقيّة سعة اطلاعه اللّغوية والأدبيّة والحضاريّة.

وسنعرض بالتّفصيل ما ترجمه من العربيّة إلى الفرنسيّة، ونكتفي بإيجاز ترجماته من اليونانيّة.

أ- التّرجمات من العربيّة

1- تاريخ صقلّية[1]

كانت باكورة نتاجه في مسار الترجمة من العربيّة إلى الفرنسيّة ترجمة *تاريخ صقلّية*، الوارد في باب من أبواب كتاب *"نهاية*

(1) السيّد البارون ريدزيل (Riedsel)، *سفرات إلى بلاد اليونان الكبرى والمشرق*، مترجم إلى الفرنسيّة، مُلحَق به: *تاريخ صقلّية*، (ص.ص. 395- 448)، ترجمه إلى العربيّة ج.ج.أ. كوسّان دي پرسڤال، جانسين (Jansen)، باريس، 1802 (بالفرنسيّة):
https://archive.org/details/voyagesensicile00riedgoog

الإرب في فنون الأدب" الذي وضعه الكاتب الشهير أحمد بن عبد الوهّاب، المعروف بالنّويري، نسبةً إلى قرية النويرة المصريّة، قرابة العام 1300، وهو كتاب ضخم أشبه "بدائرة معارف"، على حدّ قول المترجم، يجمع بين الميادين والحقول المتعدّدة وعلى رأسها التّاريخ.

وقد قام بترجمة ذلك التّاريخ، نزولًا عند رغبة أستاذه الأب برتيليمي، الذي كان قد تلقّى طلبًا بذلك من المستشرق الإيطالـي الأب[1] روزاريو غريغوريو من مدينة بَلَرْم[2]. فأَنجز العمل بطريقة علميّة صارمة، إذ طلب من معاونيه تحضير نسخة عن الكتاب تستند إلى المخطوطتين المحفوظتين في المكتبة الملكيّة، ثمّ انكبّ على تنقيحها وترجمتها إلى الفرنسيّة وتذييلها بمجموعة من الملاحظات والحواشي، في سبيل مساعدة القارئ العربيّ على فهم النّسخة الأصليّة والغوص في مضامينها من جهة ومساعدة القارئ الفرنسي على فهم ترجمتها إلى الفرنسيّة من جهةٍ ثانية، ثمّ أرسل النسخة وترجمتها إلى الأب غريغوريو، مرتاحًا إلى إنجازه ومنتظرًا نشر النسخة وترجمتها.

---

(1) Rosario Grégorio: هنا أيضًا استعملنا اللقب المتداول بالعربيّة "الأب" محلّ: "الكاهن التّابع لمجلس الكاتدرائيّة" المستعمل في الفرنسيّة.

(2) Palerme

وكانت المفاجأة أنّ غريغوريو نشر نسخةً عربيّةً لتاريخ صقلّية، مليئةً بالأخطاء، منذ صفحاتها الأولى، بعيدةً كلّ البعد عن النّسخة المرسلة من باريس، مرفقةً بترجمة إلى اللاتينية لا تمتّ إلى ترجمة دي پرسڤال[1] إلى الفرنسيّة بصلة. ولم يكتف بذلك، بل سمح لنفسه بانتقاد الترجمة إلى الفرنسيّة التي أنجزها دي پرسڤال، وهي لم تكن بعدُ منشورة.

أما ردّة فعل دي پرسڤال على هذا التصرّف الغريب، فجاءت رصينة علميّة، إذ قرّر سنة 1802 نشر ترجمته إلى الفرنسيّة، مع تمهيد وملاحظات مقتضبة صيغت بأسلوب معتدل، بعيد عن التجريح ولائق برجال العلم، أثبت فيها نتيجتين لا تقبلان الشكّ: الأولى: أن غريغوريو لم يكن يتقن اللّغة العربية كما يجب، أما الثانية فتأكيد على أنّ ترجمته إلى اللاتينية لم تعتمد الأصل العربي، بل ترجمة دي پرسڤال الفرنسيّة التي نالت، بعد نشرها، إعجاب ذوي الاختصاص، والدّليل على ذلك ما ورد عنها في محضر المناقشات التي جرت في إطار التّداول لمنح "الجوائز العشريّة"[2].

---

(1) نكتفي من الآن وصاعدًا باستعمال اسم العائلة " دي پرسڤال"، وهو يدلّ في هذا العرض الأوّل على الوالد جان-جاك-أنطوان، لا على الابن أرمان-بيار الّذي نخصّص له العرض الثّاني.

(2) وهي جوائز أسّسها نابوليون ينالها العلماء والأدباء وأرباب الفنون المتفوّقون كلّ عشر سنوات تخليدًا لتقلّده الحكم سنة 1799.

2- كتاب الزيج[1] الكبير الحاكمي

ومن التاريخ انتقل المستشرق إلى علم الفلك؛ فانكبّ على ترجمة *كتاب الزيج الكبير الحاكمي*، وهو كتاب وضعه ابن يونس، حوالي سنة 1070، وأهداه إلى الخليفة "الحاكم"، سادس الخلفاء الفاطميّين الذين تعاقبوا على الحكم في مصر مدّة قرنين من الزمن؛ ولذا سُمِّي كتاب ابن يونس بالحاكمي، نسبةً إلى الخليفة الذي عُرِف بشغفه بعلم الفلك، إذ بنى له بيتًا ومرصدًا على قمّة المقطّم شرقيّ القاهرة.

ثمّ نُشِر قسمٌ من ترجمة دي پرسڤال يحتوي على اثنتي عشرة صفحة منها في الجزء الثّاني من *رسائل صفّ العلوم الرّياضيّة والفيزيائيّة* التابع "لمعهد فرنسة – أنستيتو دي فرانس" [2] في سنة 1799، فاعتُبِرَت التّرجمة خدمةً كبرى تُقدَّم إلى علم الفلك،

---

(1) جدول يُعرَف به سير الكواكب ومنه يُستَخرَج التقويم الفلكيّ.

(2) Institut de France ، وهو مؤسّسة فرنسيّة عريقة أخرى مثل Collège de France أنشئت سنة 1795، وتحمل في العربيّة التّسمية ذاتها : "معهد فرنسة" وهي تضمّ نخبة المبدعين في مجالات العلم والأدب والفنّ والموزّعين على خمس أكاديميّات : الأكاديمية الفرنسيّة، أكاديميّة النقوش والآداب الجميلة، أكاديميّة العلوم، أكاديميّة الفنون الجميلة، وأكاديميّة العلوم الخلقيّة والسّياسيّة.
نُلحِق في النّصّ التسمية العربيّة "معهد فرنسة" بالتّسمية الفرنسيّة (Institut de France) المنسوخة إلى العربيّة: "اينستيتو دي فرانس".

وإنجازًا تطبيقيًّا ضخمًا من شأنه دعم نظريّات كانت لا تزال بحاجة لمثل تلك الاختبارات، كما قدّمتها أكاديميّة العلوم كعمل نظريّ أوّليّ مهم أغناه فيما بعد العالم بوڤار[1] بملاحظاته وحساباته.

وفي سنة 1804، نشرت أكاديميّة النقّوش والآداب الجميلة في الجزء السابع من *إشعارات المخطوطات ومقتطفاتها* قسمًا كبيرًا من ترجمة دي پرسڤال يحتوي على توطئة ومقدّمة وثلاثة فصول من الكتاب[2]. ولاقى نشر ترجمة هذا القسم الكبير الذي احتلّ ما يقارب ثلث الجزء السّابع من *إشعارات المخطوطات ومقتطفاتها* رواجًا منقطع النظير إلى حدّ اضطرار النّاشر إلى طبع أعداد إضافية منه، ولا عجب في ذلك، نظرًا إلى الحرص الذي أبداه المؤلّف على القيام بترجمة متينة ومميّزة، وإلى كون العمل يجمع بين نوعين من الأبحاث عزيزين على قلبه، ويتقنهما خير

(1) الكسيس بوفار (Alexis Bouvard)، عالم الفلك الفرنسي (1767–1843) اشتهر بصفة خاصة بملاحظاته الدّقيقة لاضطراب حركة أورانوس وفرضيته بوجود كوكب ثامن في المجموعة الشّمسيّة

(2) كتاب الزّيج الكبير الحاكمي: *رصد الشيخ الإمام العالم العلامة أبي الحسن علي بن عبد الرحمان بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى بن موسى ابن ميسرة ابن حفص بن حيان*، في: *إشعارات المخطوطات ومقتطفاتها*، المجلّد السّابع، باريس، 1804، ص.ص. 16–240 (بالفرنسيّة):
https://bit.ly/3AH7Og6

إتقان: علم الفلك والآداب العربيّة، وكلاهما يثير اهتمام القرّاء العاديّين والاختصاصيّين على حدٍّ سواء.

3- تكملة ألف ليلة وليلة

وكان المستشرق، في الحقبة نفسها، يحضّر عملًا لا يثير اهتمام أهل الاختصاص فحسب، بل يتوجّه إلى أكبر عدد ممكن من القرّاء المهتمّين بالشّرق بعامّة، وبالتّراث العربيّ بخاصّة، وهو *تكملة* لترجمة كتاب *ألف ليلة وليلة* التي كان المستشرق غالان[1] قد أنجزها ونشرها سنة 1795.

وما دفعه إلى هذا العمل قيامه بدراسة عدد كبير من مخطوطات حكايات *ألف ليلة وليلة*، حيث لاحظ فروقات متكرّرة وخطيرة فيما بينها، ممّا يجعل تحديد الأصيل منها عمليّة صعبة للغاية، كما لاحظ مَواطن الخلل والخطأ والغموض في أكثرها، ففهم لماذا حوت طبعة الكتاب الشهيرة التي نشرها المستشرق غالان تصرّفًا كبيرًا في الترجمة، وانحرفت عن الأمانة التامة للنصّ المصدر، وقرّر أن يتابع ويكمّل ترجمة غالان بجزأين جديدين.

---

(1) Galland، وهو أوّل من نشر كتاب *ألف ليلة وليلة* بالفرنسية.

وكان دي پرسڤال، وهو أحد ورثة غالان في رئاسة "معهد فرنسة – كوليج دو فرانس"، أفضل المهيّئين علمًا بمخطوطات الكتاب المتعدّدة، وإتقانًا لفنّ الترجمة، لإضافة الجزأين الجديدين إلى ترجمة غالان.

فها هو في مرحلةٍ أُولى يعود إلى المخطوطات المتوافرة في حينه والتي يمكنه الوصول إليها، ويجري تحقيقًا علميًّا تاريخيًّا نقديًّا حول كلّ واحدة منها، ثمّ يقابل فيما بينها، فيستعرض على التوالـي المخطوطتين الواقعتين بين يديه في المكتبة الإمبراطوريّة في باريس، مرورًا بثلاث مخطوطات مصدرها مصر، أُولاها حصل عليها المستشرق سيلفيستر دي ساسي[1] وأَرسلها إلى دي پرسڤال، وثانيتها حصل عليها ديتالينسكي[2]، سفير روسيّة في القسطنطينيّة، وثالثتها وصلت إلى فرنسة بعد انتهاء الحملة الفرنسيّة على مصر فحصل عليها دي پرسڤال، وصولًا إلى مخطوطة المستشرق الإنكليزي سكوت[3].

وها هو في مرحلة ثانية يؤكّد على استنتاجين قادته إليهما جولته النقديّة على المخطوطات التي عرضها:

---

(1) Sylvestre de Sacy

(2) D'Italinski

(3) Scott

1- أوّل هذه الاستنتاجات يتعلّق بتاريخ كتابة *ألف ليلة وليلة*، وقد توصّل إليه من خلال دراسته للمخطوطة الأولى المتوافرة في المكتبة الإمبراطوريّة في باريس، إذ تبيّن له أنّها ثمينةٌ على أكثر من صعيد: فكتابتها تمتاز بأسلوب متين وسلس لا نظير له في المخطوطات الأخرى، ممّا يثبت أنّها تحتوي على النصّ الأصيل، وأنّ عمرها يقترب من عمر تأليف الكتاب، وهو يُقَدَّرُ بما يفوق المائتي سنة، ممّا يسمح بالتأكيد على أن الكتاب تمّ تأليفه في أواسط القرن السادس عشر، وهو استنتاج بل موقف متقدّم في ظلّ الآراء المتباينة حول مصدر كتاب *ألف ليلة وليلة*، إذ يعتقد بعض الباحثين أنّ الكتاب ما هو، في الأساس، إلّا ترجمة عن الهنديّة مرورًا بالفارسيّة، فيما يؤكّد بعضهم الآخر على أنّه نتاج عربيّ وضعه مؤلّف عربيّ غير معروف كثرت التكهّنات حول انتمائه الجغرافيّ والتّاريخيّ.

2- أمّا الاستنتاج الثّاني فالتأكيد على أنّ مؤلّف كتاب ألف ليلة وليلة غير المعروف لم يصل في مسار الكتاب إلّا إلى نهاية الأقسام الأولى التي تظهر في المخطوطات العربيّة المتوافرة جميعها، وإن مع بعض الاختلافات. أمّا الأقسام الأخيرة من المخطوطات المنشورة وغير المنشورة جميعها فتبدو مزيجًا من القصص والرّوايات المختلفة التي تحمل بصمات متعددة وموجات متباينة لا تمتّ إلى الأقسام الأولى بصلة.

وها هو في مرحلة ثالثة يبرّر قيامه بتأليف تتمة لترجمة غالان، فقد نُشِر في السّابق تتمّات متعددة لها، كما يحاول إظهار مَواطن الضعف في تتمّةٍ نَشَرَها المستشرقان شافيس وكازوت[1] سنة 1788، مشدّدًا من جهة على اختلافها اختلافًا كلّيًّا عن ترجمة غالان، وعلى "بعدها كلّ البعد عن الذوق الشّرقيّ" ، ومتّهمًا من جهة أخرى مؤلِّفَيها بالتزوير، إذ بيّن المستشرقان الباحثان روسّيل وسكوت[2] أنّها منقولة نقلًا حرفيًّا عن حكايات عربيّة وفارسيّة.

وها هو في مرحلةٍ أخيرة ينكبّ على تأليف التّتمّة بجزئيها، فينشر الأجزاء القديمة مع الجزأين الجديدين سنة 1806[3]. غير أنّه نبّه القرّاء إلى أنّ الحكايتين الجديدتين اللتين ضمّهما إلى الأجزاء القديمة لا تنتميان إلى نسخة كتاب *ألف ليلة وليلة* الأصليّة.

ولم يأت نجاح الجزأين الجديدين، بعد نشر طبعة دي پرسڤال، بمستوى نجاح الأجزاء القديمة. إلّا أنّ القرّاء بمجملهم، بمن فيم أهل الاختصاص، لم يتوانوا عن التّشديد على الجديد الّذي

(1) Chavis et Cazotte

(2) Russel et Scott

(3) *ألف ليلة وليلة*، حكايات عربيّة، ترجمها غالان، وأكملها دي پرسڤال، لونورمان، باريس، 1806، تسعة أجزاء.

https://fr.wikisource.org/wiki/Les_Mille_et_Une_Nuits

أتت به، والدليل على ذلك ما ورد عنها في محضر المناقشات التي جرت في إطار التداول لمنح الجوائز العشريّة.

ب- الترجمات من اليونانيّة

1-مغامرات بحَّارَة الأرغو[1]

هي قصيدة ملحميّة إغريقيّة ألّفها أبولونيوس الرودسي[2] في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، تروي مغامرة جيسون[3] وبحّاري الأرغو[4] الّذين توجّهوا إلى منطقة كولخيس[5] البعيدة لاستعادة صوف الكبش الذهبي المعَلَّق في حرج أريس[6] ويحرسُه تنّين ورجال مسلّحون.

وتجمع القصيدة أبعادًا متعدّدة متداخلة من الشّعر، والأساطير، والخرافات، والحكايات، والرّوايات، والتّلفيقات الخياليّة، تجعل منها أثرًا يتّسم بالضّبابيّة يصعب العثور من خلاله على خيطٍ ثابت واضح يؤدّي إلى سرد واقعيّ منطقيّ موثّق لتلك

(1) Argonautiques، وقد استعملها بعض الكتّاب العرب بلفظها الغربيّ "أرغونوتيكا"
(2) Apollonius de Rhodes
(3) تعريب اسم Jason
(4) Argo : اسم السّفينة
(5) تعريب اسم بلد Colchide
(6) Arès

الفترة المهمّة من تاريخ اليونان القديم، بالرّغم من بعض المعلومات الجغرافيّة والتّاريخيّة والدّينيّة المتوافرة في القصيدة. وقد وقع بعض من حقّق فيها ونشرها باللغة اليونانيّة أو ترجمها إلى لغات أخرى في فخّ البحث عن ذلك السّرد التّاريخيّ الدّقيق الذي تدعمه النّظريّات والعقائد لا الأحداث والوقائع.

أمّا دي پرسڤال فاتّخذ منحى آخر يهدف إلى استيعاب المعطيات الغنيّة المتوافرة في القصيدة، ونقلها كما هي، دونما أيّ نيّة في التّفسير أو التّأويل أو التّنظير، ونشر ترجمتها بأجزائها الأربعة سنة 1796[1].

2- بَصَرِيّات بطليموس[2]

وكان من الطّبيعيّ ألّا يكتفي دي پرسڤال بالآثار اليونانيّة الأدبيّة والشّعرية، وأن ينتقل إلى هوايته الثّانية التي لازمته طوال حياته، وهي البحث في النّتاج العلميّ، وقد سنحت له الظّروف بذلك سنة 1809، على أثر تعيينه في الصّفّ الأكاديميّ المخصّص

(1) *مغامرات بحّارة الأرغو أو استرجاع الصّوف الذهبي، قصيدة* في أربعة أناشيد، تأليف أبولونيوس الرودسي، ترجمة ج.ج. كوسّان، موتارديه، باريس (بالفرنسيّة):

https://gallica.bnf.fr/ark:/12148/bpt6k97617924.texteImage

(2) *Optique de Ptolémée*

للدراسات الشّرقيّة والإغريقيّة التابع "لمعهد فرنسة – أنستيتو دي فرانس" ولأكاديميّاتها، فأراد، افتتاحًا لمهامه الجديدة، تحضير رسالةٍ مميّزة بموضوعها، ومضمونها، ووقعها، عن نتاج فيزيائيّ قديم شغل العلماء والمؤرّخين، وهو *بصريّات بطليموس*، في سبيل قراءتها في الصفّ الّذي عُيِّنَ فيه.

والجدير بالذكر أَنّ الكتاب لم يذكره أي كاتب أو مؤرّخ قبل القرن الثّاني بعد الميلاد، وبقي غير معروف لغاية القرن الثالث عشر، حيث بدأ الباحثون، من أمثال فيتيلو[1] وباكون[2] يُعيرونه اهتمامهم، ويقرؤونه، بغياب النسخة اليونانيّة المفقودة، في ترجمته من اليونانيّة إلى العربيّة، أو في ترجمته من العربيّة إلى اللاتينيّة. ثمّ ما لبث أن غاب، إلّا نادرًا، عن الأبحاث الفيزيائيّة القديمة، إلى أن اعتُبِرَ مفقودًا بشكل نهائيّ سنة 1610. وبقيت الحال هكذا حتّى سنة 1800. إلّا أنّ لائحة المخطوطات في مكتبة الملك المنشورة سنة 1744 ذكرت طبعةً للكتاب. وكان دي پرسڤال من بين الأوائل الّذين لاحظوا ذلك، فبحث عن المخطوطة، وبدَأَ العمل عليها، في سبيل إعداد دراسةٍ شاملة عن الكتاب شكّلت نصّ رسالته.

---

(1) Vitellio

(2) Bacon

تبدأُ الرّسالة[1] بنبذةٍ تاريخيّة عن الكتاب يشير فيها دي پرسڤال إلى أنّ النصّ اليونانيّ الأصليّ مفقود، وكذلك الأمر بالنسبة إلى ترجماته إلى العربيّة، فيستعيض عن ذلك بالعودة إلى التّرجمات اللاتينيّة المتوافرة وحدها، ويعرض مواد أقسام الكتاب الخمسة، ثمّ يكشف عن تصميم طبعة التّرجمة اللاتينيّة التي تحتوي على بعض المقاطع الغامضة حاول المترجم أن يوضّحها بالرّجوع إلى التعابير العربيّة واليونانيّة القريبة منها.

وتكمن أهمّيّة هذا الكتاب، لا في مساهمته في تطوّر علم البصريّات الذي شهد تطوّرًا كبيرًا منذ بطليموس، بل في قيمته التّاريخيّة، واعتباره الكتاب القديم الوحيد الذي يحتوي على آثارٍ فيزيائيّة اختباريّة.

سادسًا: النّاشر

لم يكن دي پرسڤال مترجمًا من العربيّة واليونانيّة إلى الفرنسيّة فحسب، بل ناشرًا بالعربيّة لآثارٍ متنوّعة تغطّي الميدانين: الأدبيّ والعلميّ.

---

(1) جان-جاك-أنطوان كوسّان دي پرسڤال، "بصريّات بطليموس" في: *رسائل المعهد*، 1822، 6، ص.ص.1-43 (بالفرنسيّة)
https://www.persee.fr/doc/minf_1267-8996_1822_num_6_1_1191

أ- المنشورات الأدبيّة

لم يفارق همّ المربّي المعلّم ذهن البحّاثة، فهو من جهة يمارس التعليم بموازاة البحث، ومن جهة ثانية يعمل على تكريس قسط من الأوقات المخصّصة للبحث العلميّ الأكاديميّ، لتحضير مجموعات من الكتب المتداولة في صفوف تعليم الآداب العربيّة، فينصرف ابتداءً من سنة 1816، وخلال ثلاث سنوات، إلى التحقيق فيها، ونشرها مذيّلةً بملاحظاته وتعليقاته، ووضعها بين أيدي طلّابه وسائلَ تربويّةً، غنيّةً بمواضيعها، واضحةً في كتابتها ومُتقَنَةً في إخراجها، ومنها: *المعلّقات السّبع*، *والفصول الثّلاثة الأولى من القرآن الكريم*، *وأساطير لقمان الواحدة والأربعون ومقامات الحريري الخمسون*[1] التي خصّص سسيلفستر دي ساسي دراسةً خاصّةً بها[2].

---

(1) جان-جاك-أنطوان كوسّان دي پرسڤال، *مقامات الحريري الخمسون*، مطبعة ابيرهارت (Eberhart)، باريس، 1817 (بالعربية: طبق الأصل عن النّصّ كما طبَعَه النّاشر مع الحركات وعلامات الوقف الّتي اعتَمَدَها)
https://babel.hathitrust.org/cgi/pt?id=mdp.39015024522347&view=1up&seq=7

(2) سيلفستر دي ساسي، "مقامات الحريريّ الخمسون، أو مغامرات الحارث وأبي زيد السّروجي"، تأليف أبي محمّد القاسم الحريري من البصرة، نشَرَها السّيّد كوسّان دي پرسڤال، باريس 1818، في *جريدة العلماء*، أيّار 1819، ص.ص. 283-287 (بالفرنسيّة):
https://gallica.bnf.fr/ark:/12148/bpt6k57226x/f10.item

ولم يرحّب بنشر هذه الآثار المتنوّعة الطّلاب المستفيدون منها فحسب، بل لاقت أيضًا إعجاب زملاء دي پرسڤال من أساتذة وباحثين، فكتبوا عنها، في مقالاتهم النقديّة، وأشاروا إلى مصادرها الموثوق بها، وإلى دقّة الملاحظات والحواشي التي تذيّل نصوصها، وإلى أناقة إخراجها وطبعها.

ب- كتاب الصّوفيّ: الصُّوَر السّمائيّة

أمّا في الميدان العلمي، فكان في نيّته نشر كتاب عن النّجوم وضعه الكاتب عبد الرحمان الصّوفي، في القرن العاشر للميلاد، بعنوان: *الصُّوَر السّمائيّة*. وكانت تدفعه إلى القيام بذلك ثلاثة أسباب: الأوّل شهرة المؤلّف الذي كان ابن يونس، مؤلّف الزّيج الكبير الحاكمي، يضعه في مصافّ علماء الفلك المتفوّقين، والثّاني لجوء عدد من علماء الفلك إلى الكتاب لتفسير أسماء النّجوم الواردة في لوحات أولوغبيغ ، وهي لوحات فارسيّة اشترك في وضعها مجموعة من علماء الفلك (ما بين 60 أو 70 عالِمًا)، بإشراف عالم الفلك الأمير أولوغبيغ، في القرن الخامس عشر الميلادي، في مرصد مدينة سمرقند. أمّا السّبب الثالث فغياب الكتاب من بين الكتب الفلكيّة العربيّة المترجمة، واقتصار حضوره، في المؤَلَّفات الفلكيّة، على بعض الشّواهد والمقاطع المختارة منه، التي نادرًا ما خلَت من الأخطاء والشّوائب. فانصرف

إلى إنجاز مشروعه، ونَشَر النّصّ العربي مع ترجمة مقدّمته إلى الفرنسيّة، وفيها يبيّن الصّوفيّ الأخطاء التي وقع فيها المؤلِّفون الّذين عالجوا موضوع الصُوَر السّمائيّة قبله[1].

وكان ينوي متابعة ترجمة الكتاب بكامله إلى الفرنسيّة والتّعليق على ما جاء فيه، إلّا أنّ وضعه الصّحّي لم يسمح له بذلك، إذ أُجبِرَ على إيقاف نشاطاته ابتداء من سنة 1829.

المحصّلة

وهكــذا أتى النتـاج على مثال صاحبِه، متعدّد الميادين والمواضيع، من التّاريخ إلى علم الفلك، مرورًا بالشعر والأدب، ولاقى الترحيب لدى الطّلّاب والقرّاء وأصحاب الاختصاص الّذين قُدِّر لهم أن يطّلعوا عليه ويتذوّقوه، سواء أكانوا من العرب أو من المستشرِقين.

النّهاية

كان كتاب *الصُّوَر السّمائية* آخر عملٍ يُنجِزُه دي برسڤال: ففي سنة 1830 تدهورت صحّته، وانقطَع عن الحضور إلى

(1) *الصُّوَر السّمائيّة*، مع ترجمة مقدّمته إلى الفرنسيّة، في: *أبحاث قصيرة عن المخطوطات ومقتطفات عنها*، المجلّد 12، 1831، ص.ص. 236–276
https://bit.ly/3o1PDhJ

"معهد فرنسة – أنستيتو دي فرانس"، بعد عشرين عامًا من العمل المتواصل والإنتاج الغزير. وفي السّنة نفسها، أُنتخب رئيسًا "لمعهد فرنسة – كولّيج دي فرانس"، ولكنّه اضطُرَّ إلى إيقاف دروسه والاستقالة من رئاسته ومن كرسيّ اللّغة العربيّة التي كان يشغلها، فحلّ محلّه فيها ابنه البكر أرمان–بيار، أستاذ اللّغة العامّيّة في المدرسة الخاصّة باللّغات الشّرقيّة الحيّة منذ سنة 1822، والأستاذ الرّديف لوالده في "معهد فرنسة – كولّيج دي فرانس" منذ سنة 1830. وتوفّي جان–جاك–أنطوان كوسّان دي پرسڤال في 29 تمّوز 1835 عن عمر 76 سنة، فأقيم له، في اليوم الثّاني بعد وفاته حفل تكريميّ جمع زملاءه وأقرباءه وأصدقـــاءه، ألقـــى خلاله كلٌّ من رئيس أكاديميّة النقوش والآداب الجميلة، والسّيد لومير[1]، أحد أساتذة "معهد فرنسة – كولّيج دي فرانس– " خطابًا تأبينيًّا.

(1) Lemaire

الباب الثّاني: نتاجه في الغربال

التمهيد

يُجمع نقّاد نتاج دي پرسڤال في التّرجمة إلى الفرنسيّة من العربيّة واليونانيّة، وفي نشر الآثار العربيّة والتّعليق عليها بالمقدّمات والتعليقات والحواشي، وجميعهم من معاصريه وزملائه في الميادين التي تطرّق إليها، على ثوابت إيجابيّة لم يتردّدوا في تبيانها والتّشديد عليها في آثاره جميعها، حتّى في سياق تصويبهم على مَواطن ضعف أو خطأ في هذا العمل أو ذاك، أو في أثناء اتّخاذ مواقف أو التعبير عن أفكارٍ مغايرة للّتي اتّخذها وعبّر عنها، وأَهمُّ هذه الثّوابت: سعة ثقافته التّاريخيّة واللغويّة والأدبيّة والعلميّة، وصرامة منطقه في العرض والتّحليل والنقد، ودقّته في التّحقيق في المخطوطات والمستندات التي يعمل عليها، وأناقة كتابته في التّأليف والتّرجمة على حدٍّ سواء، ورهافة حسّه ولياقة تصرّفه في مناقشة مَن خالفه الرّأي، أو أساء فهمَ ما كتبَه أو تجنّى عليه. وغالبًا ما طغت هذه الثّوابت الإيجابيّة على ملاحظات وانتقادات لم تخلُ منها المقالات التي صدرَت بعد كلّ ترجمةٍ طبعَها أو مقالٍ كتَبه أو أثر عربيٍّ نشره. وفيما يلي عرضٌ للوقع الذي أحدثته مؤلّفاته الغزيرة في نفوس قرّائه ومتتبّعي مساره.

أولًا: حول الأبجديّة التّدمريّة

رأى أكثر البحّاثة المعاصرين أنّ دفاع دي پرسڤال عن أستاذه الأب برتيلمي الّذي وجّه إليه المستشرق جيورجي انتقادات قاسية حول تفسير نقوش الأبجديّة التّدمريّة جاء نتيجةَ بحثٍ تاريخيّ لغويّ مدعوم ببراهين منطقيّة، أَثْبَتَ أنّ مقاربة الأب برتيلمي استندت إلى تفسير لا يقبل الشكّ للنقوش بالأبجديّة التّدمريّة التي يتقنها، بينما ضاعت مقاربة جيورجي في متاهات المقارنة بين الأبجديّات المعروفة في المنطقة في تلك الفترة، واستنتج قارئو البحث أن دي پرسڤال قد حقّق "تقدّمًا" ملحوظًا في مسار تحصيله من خلال الدّروس التي تابعها، وفي محاولاته الأولى في مجال البحث؛ فلم يُفاجَؤوا، على حدّ قول كاتب سيرة حياته[1] آنذاك، "بدعوته، في عمر الرّابعة والعشرين، إلى تبوّء كرسيّ اللّغة العربيّة" في "معهد فرنسة - كولّيج دي فرانس- ".

ثانيًا: حول التّرجمات إلى العربيّة

أ- حول ترجمة تاريخ صقلّية في عهد الإسلام

ولم يكن وقْع ترجمته الأُولى من العربيّة إلى الفرنسيّة *لتاريخ صقلّية في عهد الإسلام* الّذي وَضَعه النُّوَيري على النّقّاد بأقلّ

(1) بيار-كلود-فرنسوا دونو، المرجع المذكور سابقًا، ص. 166

إيجابيّة من وقع دفاعه عمّا نشره أُستاذه بارتيلمي حول الأبجديّة التّدمريّة، وبخاصّة بعد أن اكتشفوا المغامرة الصّادمة التي عاشها مع المستشرق غريغوريو، كما رأينا. فلم يرحّبوا بالعمل الدّقيق والمتقن الذي أنجزَه والذي أغنى مكتبة الترجمات من العربيّة إلى الفرنسيّة بكتاب مهمّ وضعه مؤلّف من أبرز وجوه مؤرّخي العرب فحسب، بل حيّوا فيه تصرّفه اللائق من جهة، لأنّ ملاحظاته حول المغالطات التي عثر عليها في ترجمة غريغوريو إلى اللّاتينية، "جاءت مقتضبة بنَفَس معتدل"[1]، كما حيّوا من جهة ثانية أسلوبه في الكتابة، إذ أشاروا إلى أنّه "أعطى بأسطر قليلة معلومات دقيقة عن الكاتب النويري وعن طبيعة هذه المرحلة التّاريخية الصغيرة التي لا تشكّل إلا فصلًا من فصول ما يشبه الموسوعة[2]."

ب- حول ترجمة كتاب الزّيج الكبير

كان ترحيب النقّاد بترجمة هذا الكتاب الذي يندرج مضمونه في علم الفلك، كترحيبهم بترجمة الكتاب التاريخيّ عن صقلّية. فاعتبروه "خدمة جليلة قُدِّمت إلى علم الفلك، ومكسبًا ضخمًا، فهو صيغ ليثبت - بفضل تسلسل طويل للوقائع- نظريّات لا

(1) بيار-كلود-فرنسوا دونو، المرجع السّابق نفسه، ص. 168

(2) المرجع السّابق نفسه، وفي الصّفحة ذاتها

تزال تحتاج إلى هذا النوع من المناقشة، خصوصًا فيما يتعلق بانخفاض الميل المحوريّ في مسار الشّمس المتدرّج[1]."

ج- حول تَتِمّة ترجمة ألف ليلة وليلة

لا شكّ في أنّ النّقاد المتتبّعين لترجمات *ألف ليلة وليلة* إلى الفرنسية رأوا في نشر *تَتِمّة ألف ليلة وليلة* التي ألحقها دي برسڤال بترجمة غالان، ثمرة عملٍ رصين مبنيٍّ على دراسته الدّقيقة للمخطوطات المتوافرة، وعلى مقارنته فيما بينها، وعلى تملّكه من ترجمة غالان وممّا اتّسمت به من مضامين وأساليب مميّزة جعلتها مرجعيّة في ترجمة الحكايات إلى الفرنسيّة، فاعتبروه مهيَّأً، أكثر من أي باحث آخر، لإعادة نشر ترجمة غالان وإتمامها بجزئين جديدين.

غير أنّ نجاحها لدى القرّاء بشكلٍ عامّ بقي محدودًا لا يضاهي النّجاح الّذي عرفته التّرجمات الأُخرى التي سبقتها. زد على ذلك أنّ تعليقات بعض النقّاد الّذين أقرّوا بكفاءة المترجم الّتي خوّلته للانطلاق في مشروع ضخم التزم به وأَنجَزَه لم تخلُ من الإشارة إلى بعض المواقف الّتي اتّخذها والاستنتاجات التي توصّل إليها فاعتبروها متسرّعة وغير مبرّرة. ومن أَبرز

(1) المرجع السّابق نفسه، ص.ص. 170-171

هؤلاء المستشرق سيلفستر دي ساسي الّذي نشر مقالًا شهيرًا حول ترجمات *ألف ليلة وليلة*[1].

يخالف الناقد دي ساسي المترجِم دي پرسڤال في موقِفَين اتّخذهما حول كتاب *ألف ليلة وليلة:* يؤكّد دي پرسڤال أوّلًا أنّ تأليف الكتاب يعود إلى أواسط القرن السّادس عشر الميلادي ويبرّر ذلك باستعمال اللّغة العامّيّة في الكتاب، ممّا يدلّ على انتمائه إلى عصر الانحطاط. فيلاحظ دي ساسي أنّ هذا التّبرير لا يفرض نفسه، إذ ما الذي يمنع أن يكون النّصّ الأصيل بالفصحى، وأن يكون مستواه قد انحطّ "نتيجةَ ما تم فيه من تشويه على يد النّسّاخين؟[2]".

ويُثبت ثانيًا أنّ مؤلّف الكتاب عاش كذلك في تلك الحقبة، والدّليل حاشيتان وردتا في المخطوطة التي كان غالان قد أحضرها من سوريّة واستند إليها في ترجمته، ومضمونهما أنّ ناسخ المخطوطة المسيحيّ، وهّابة ابن رزق الله، يتمنّى "عمرًا طويلًا" لمؤلّف الكتاب الذي نسخه، ممّا يعني أنّ المؤلّف كان على قيد الحياة في أواسط القرن السّادس عشر الميلاديّ.

(1) سيلفستر دي ساسي، "رسالة في مصدر مجموعة حكايات بعنوان *ألف ليلة وليلة*"، في: *رسائل معهد فرنسة*، 1833، 10، ص.ص. 30–64
https://bit.ly/3lYWKEW

(2) سيلفستر دي ساسي، المرجع السّابق ذاته، ص. 31

والحقيقة، بحسب قراءة دي ساسي للحاشيتين، أنّ الناسخ يتمنّى العمر الطّويل "لمالك المخطوطة، لا لمؤلّف الكتاب"، وذلك واضح فيهما حيث يستعمل النّاسخ كلمة "مالك" لا كلمة "مؤلّف"[1]، فينصح بعدم الأخذ بما ادّعاه دي برسڤال حول تاريخ تأليف الكتاب، وحول حياة مؤلِّفِهِ.

ثالثًا: حول الآثار العربيّة المنشورة

أ- المنشورات الأدبيّة

كان مردّ نشره بالعربيّة آثارًا أدبيّة شهيرة مع مقدّمات تحليليّة نقديّة بالفرنسيّة إلى رغبته في وضع وسائل تربويّة فعّالة بتصرّف طلّابه الّذين قدّروا له هذه الخدمة التي وضعت بين أيديهم مجموعة غنيّة متنوّعة من الآثار الأدبيّة، وشاركهم النّقّاد في هذا التّقدير، غير أنّ ردّة فعل بعضهم لم تخلُ من ملاحظات تناولت مواطن خطأ في نقل النّصّ الأصليّ، كما في مقال دي ساسي الّذي أفصَحَ فيه عن نيّته نشر *المقامات* في طبعةٍ جديدة، نظرًا إلى الأخطاء التي وردت في طبعة دي برسڤال مثل التي ظهرت في "بنى الجمل (..)

وكان من الممكن تفاديها لو تم الالتُزِام بطبعة كالكوتا.

(1) سيلفستر دي ساسي، المرجع السّابق ذاته، ص. 50

ولو حصل ذلك لتفادى نوعًا آخر من الأخطاء أي تلك المتعلّقة بالعروض وتقسيم الأبيات إلى صدر وعجز"[1].

ب- كتاب الصّوفيّ: الصُّوَر السّمائيّة

كان كتب الصّوفيّ، *الصُّوَر السّمائيّة*، آخر أثر تركه دي پرسڤال، قبل وفاته. فنشر النّصّ العربيّ، مع ترجمة مقدّمته إلى الفرنسيّة. فرحّب به علماء الفلك، لكونه أوّل ترجمة كاملة لكتاب استشهدوا ببعض مقاطعه المترجمة "واستعملوه لتفسير أسماء الكثير من النجوم الواردة في لوحات أولوغبيغ[2]."

المحصّلة

لم تخلُ غربلة نتاج دي پرسڤال من بعض إشارات النّقد إلى بعض مواطن الأخطاء اللّغويّة أو الطّباعيّة أو التّاريخية، وإلى بعض الاستنتاجات غير المبرّرة في سياق التفسيرات أو المناقشات حول مواقف اتّخذها المستشرق.

غير أنّ ذلك لم يسئ إلى الانطباعات الإيجابية التي اندرجت في سياق أغلب ما كُتِب وقيل فيه، كما سنرى في المقتطفات لاحقًا.

---

(1) سيلفستر دي ساسي، "مقامات الحريري الخمسون" في: *جريدة العلماء*، أيّار، 1819، ص.ص. 283-287
https://gallica.bnf.fr/ark:/12148/bpt6k57226x/f10.item

(2) بيار-كلود-فرنسوا دونو، المرجع السّابق، ص. 176

الخاتمة: مرآة تعكس وجوهًا

يظهر بما لا يقبل الشّكّ، في نهاية هذا العرض، أنّ جان-جاك-أنطوان كوسّان دي پرسڤال حظِيَ بإعجاب قرّائه، وعرفان طلّابه، وتقدير أغلبيّة نقّاده لِما أنجزه بحثًا، وترجمةً، ونشرًا، وتعليمًا. كما يظهر، في شهادة أهل بيته، وزملائه الّذين عايشوه عن قرب و"كان لهم حظٌّ إقامة العلاقات الشّخصيّة معه"، أنّ وراء وجه العالِم البحّاثة، والمستشرق الحذق، والنّاقد الحكيم، وجهَ إنسان "يمتاز بفضائله، وتواضعه، وكرامة أخلاقه[1]."

(1) بيار-كلود-فرنسوا دونو، المرجع السّابق، ص. 177

مختارات من نتاج
جان-جاك أنطوان كوسّان دي پرسڤال

ملاحظة: اخترنا النّصوص، وجميعُها تُرجِمَت من الفرنسيّة إلى العربيّة، ورتّبناها وأخرجناها مع بعض التّصرّف الذي لا يسيء إلى هيكليّتها أو سياقها، كما حذفنا أغلب الحواشي منها، وعلى القارئ الرّاغب في أن يزور مرجعًا من المراجع أن يعود إلى الكتب والمقالات الفرنسيّة التي اختيرت منها، والّتي ترجمناها إلى العربيّة، وقد رتّبناها حسب وجوه دي پرسڤال المتعدّدة التي ظهرت في العرض، كما أشرنا إلى المحذوف بهذه العلامة (...)

من: "رسالة السّيّد كوسّان حول كتاب عنوانه: *عن نقوش تدمر المحفوظة في متحف الكابيتول*" ، في: *جريدة العلماء*، نيسان، 1783، ص.ص. 215–221

https://gallica.bnf.fr/ark:/12148/bpt6k57214x/f249.item.r=Avril%201783

"سعى الأب جيورجي التّابع لرهبنة القدّيس أغسطينوس، وهو عالم اشتهر بكتبه المعتمِدة على البحث المعمّق، إلى كشف النّقاب عن نقشين تدمريّين محفوظين منذ زمن بعيد في متحف الكابيتول أحدهما مرفق بكتابة إغريقية والآخر بكتابة لاتينية،

والاثنان محفوران في منحوتات تمثّل آلهة تدمر وفيها رموز تشير إلى ديانة سكّانها.

وكان الأب برتيليمي قد نشر في عام 1754 في دراسة عن نقوش تدمر ذاتها، ولم يرشده في عمله إلا الشّبه العام الذي لاحظه ما بين نقوش روما والنّقوش التي نشرها السيد "وود"[1] مؤخرًا. ولكنّه اعتمد على حسّ نقديّ حكيم وصائب أنار له الدّرب فنجح بعد تعب مضن في أن يحدّد طريقة قراءتها، وترجمها بأحرف عبريةّ في ثالث لوحة من البحث الذي سبق وذكرته.

أما النّسخة التي يقدّمها الأب جورجي اليوم فقد أنجزَها عالم ألماني، هو السيد أدلير[2] الضّليع باللّغات الشّرقية، وهي لا تغيّر شكل الأحرف التي نشرها الأب برتيليمي. فلماذا يؤكد الأب جورجي على العكس؟ لماذا لم ينتبه إلى أنه وضع بين أيدينا إثباتات تنسف ادّعاءه؟ وما يزيد دهشتنا ألّا مصلحة لديه في التّشكيك بالنّسخة التي قدّمها الأب برتيليمي، حتّى لو كان في نيّته تغيير قيمتها.

غير أنّه، في سبيل تحديد هذه القيمة الجديدة، راح الأب جورجي يبحث في الأبجديّات الفينيقية والعبريّة والسريانيّة عن

---

(1) Vood

(2) Adler

أشكال تشبه تلك التي بين يديه وتحت ناظريه. ولكنّ الطريقة التي اعتمدها غير مضمونة، فقد حاول فرض أوجه شبه بالقوة عن طريق إيجاد علاقات مبهمة ومضلِّلة. أما الأب برتيليمي فلم يسر في طرق عشوائيّة، بل اتّبع مبادئ أكيدة لا جدال فيها، لاكتشاف أبجديّة النّقوش التي جلبها الإنكليز من تدمر، لقد شقّ طريقه ليصل إلى فهمها." (ص.ص. 215–216)

من ترجمة تاريخ صقليّة:

السيّد البارون ريدزيل (Riedsel)، *سفرات إلى بلاد اليونان الكبرى والمشرق*، مترجم إلى الفرنسيّة، مُلحَق به: *تاريخ صقلّية*، (ص.ص. 395–448)، ترجمه إلى العربيّة ج.ج.أ. كوسّان دي پرسڤال، جانسين (Jansen)، باريس، 1802 (بالفرنسيّة):

https://archive.org/details/voyagesensicile00riedgoog

"توفي أحمد عبد الوهّاب الملقّب بالنّويري عام 732 للهجرة (1331–1332 للميلاد).

ويُعدّ تاريخه لمدينة صقلية جزءًا من كتاب ضخم قدّمَه للسلطان محمد بن قلاوون، وهو من أسرة المماليك البحريّة، وعنوانه: *نهاية الإرب في فنون الأدب* (أعلى درجة في الدراية في أنواع المعارف المختلفة). والكتاب موسوعة بحق، ويشمل

خمسة *فنون*، وتتضمن *الفنون* الأربعة الأولى الفيزياء عمومًا والتاريخ الطبيعي والأخلاق. أما *الفنّ* الخامس، فيشمل كما الفنون السابقة، خمسة أقسام وتتناول التاريخ فقط، ويشكّل تاريخ أفريقيا وبلاد المغرب الباب السادس في القسم الأخير، وفي هذا الباب نجد تاريخ صقلّية.

وقد ترجمتُه قبل خمسة عشر عامًا، مستندًا إلى نسختين من مخطوطات المكتبة الوطنيّة، وقد عُهد إليّ بالاحتفاظ بهما آنذاك. وكان مؤلّف كتاب *أناخارسيس* قد طلب منّي ترجمة هذا الباب فنقلته إلى الفرنسيّة، ولم أكن أعرف آنذاك أنه سيدرج ضمن مصنّف فيه مقطوعات من الصّنف الأدبيّ نفسه مترجمة إلى اللاتينيّة. وبما أنه لا يمكن إدخال نسخة فرنسيّة إلى هذا المصنّف، فإن المحرِّر الذي تسلّم نسختي المرفقة بملاحظاتي والنّصّ المصدر الذي قصدتُ أن تنسخَه يد ناسخ ماهر، لم يواجه إلا عناء ترجمة النّصّ الفرنسيّ إلى اللاتينيّة.[1] لكنه حاول الإيحاء بأنّ ترجمته أكثر

(1) كان حريًا بالقسّ غريغوريو أن يقترح عليّ ترجمة النّصّ إلى اللاتينيّة بسبب عدم رغبته في طباعة ترجمتي الفرنسيّة، وأن يحرص أيضًا على إخباري بأنّها سترد إلى جانب النّصّ الأصلي، فلو فعل، لَكنتُ سلّمتُه ترجمة أكثر حرفية، إذ يمكن تطويع اللغة اللاتينيّة الحديثة أكثر من الفرنسية لاستيعاب تراكيب الجمل العربية. وأخيرًا، لو أراد الأب غريغوريو أن يبدو أمام العلماء الآخرين أنه هو من ترجم القطعة الأهمّ في مصنّفه لَتجنَّبَ انتقاد ترجمتي واكتفى بالقول: إنّ طبيعة كتابه منعته من طباعة نصّي كما هو.

حرفيّة في بعض المواضع، ما جعله يفسّر بعض الجمل تفسيرًا خاطئاً، وهذا يشي بقلّة دراية باللّغة العربيّة، ويدعم هذه الملاحظة عدد الأخطاء الكبير في نصّه العربيّ.

ولذا يمكن اعتبار هذا المقطع من نواح مختلفة كأنه جديد وكأنّ الرجل لم يكلّف نفسه عناء البحث." (ص.ص. 597–400).

من كتاب الزّيج الكبير الحاكمي:

"رصد الشّيخ الإمام العالم العلّامة أبو الحسن علي بن عبد الرحمان بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى بن موسى بن ميسرة بن حفص بن حيان"، في: *إشعارات المخطوطات ومقتطفاتها*، المجلّد السّابع، باريس، 1804، ص.ص. 16–240

https://bit.ly/3AH7Og6

"لا شكّ في أن مجرّد عنوان هذا الزيج يدلّ على الحقبة الزمنية التي كُتب فيها. زد إلى ذلك أن الخليفة الحاكم بأمر الله، الذي أُهدِيَ إليه هذا الكتاب، هو سادس أمير من سلالةٍ حكمت مصر طوال قرنين، وهي معروفة باسم الأسرة الفاطمية، وقد استهلّ حكمه في عام 386 للهجرة (996–997 للميلاد) وانتهى عهده في عام 411 للهجرة[1] (1020–1021 للميلاد). لكنّ ما رصده ابن يونس ودوّنه

(1) كان هذا الأمير مثله مثل كل حكام الشرق تقريبًا مولعًا بعلم الفلك فبنى مرصدًا ومنزلًا على جبل المقطم شرقيّ القاهرة ينزوي فيه أحيانًا لينصرف إلى علم الفلك.

على شكل ملاحظات في الكتاب يُحدّد التّاريخ بشكل أدقّ، وقد خطّ آخــر هذه الملاحظات المستندة إلى مراقبة الفلك في 23 صفر من عام 398 للهجرة (7 تشرين الثاني 1007 ميلادي)، وهي الحقبة التي ألّف فيها الكتاب لأنه لم يعش إلا ستة أشهر تقريبًا بعد إتمامه، وهذه المعلومة سترد بعد قليل.

ويطلعنا كاتب عربي أَلَّفَ قاموسًا يسرد فيه تاريخ أهم أعلام بلده[1] على تفاصيل عن حياة ابن يونس لا بدّ من ذكرها في هذا المكان:

ينحدر ابن يونس من عائلة نبيلة وعريقة خرج منها رجالات عِظام.

وكان الخليفة العزيز بالله سلفُ الحاكم بأمر الله ووالدُه هو مَن دفع ابن يونس لأن يحصر اهتمامه بعلم الفلك، ووفّر له كل السّبل لتحقيق ذلك، فكرّس ابن يونس حياته لمراقبة النجوم حتى أصبح أمهر علماء الفلك العرب. زد على ذلك أنه كان ملمًّا بمعارف أخرى، فقد كان يعزف أحيانًا على القيثارة وينظم أبيات شعر متينة. وتثبت الأبيات التي وصلت إلينا أن علم الفلك لا يغيب عن قصائد ابن يونس حتى وهو ينظم قصائد الغزل فهو يشكو غياب شاب وبعض الكواكب التي تتعمد أن تتوارى عن عينيه في آن.

---

(1) ابن خلكان

وقد وصف مؤرّخ شكل ابن يونس فقال: "كان شديد البساطة والطيبة والتواضع وكثيرًا ما تراه شارد الذهن ومشغول البال، وكان يعتمر قبّعة كبيرة ويردّ جلبابه فوق عمامته. كان طويل القامة، وعندما يخرج على صهوة جواده، يضحك كثيرون لرؤية رجل ذائع الصّيت مثله لا يهتم بأناقة ملابسه.

وقد توفي ثاني يوم من الأسبوع في 4 شوال من عام 399 للهجرة (31 أيار 1008 للميلاد).

ويُعدّ كتاب ابن يونس أضخم مخطوطة كتبت في العربية تحت عنوان الزّيج. وبحسب المؤرخَيْن أبي الفداء وابن خلّكان، فالكتاب مؤلّف من أربعة مجلّدات، ولكن كُتّاب المراجع منقسمون، فيؤيد بعضهم هذه المعلومة بينما يقول بعضهم الآخر إنه مكوّن من مجلّدين وحسب. وأظن أن المخطوطة في مكتبة جامعة "ليد" هي نصف الكتاب الكامل، وعليه فهو بالتالي مؤلّف من مجلّدين فقط.

ولا نجد في هذه المخطوطة أية إشارة تدلّ على تاريخ تدوينه، لكنّ شكل الأحرف ودرجة تَلَف بعض الأوراق وبعض الأماكن التي امّحت فيها الكتابة تقريبًا تُرجّح أنّ عمر الكتاب خمس أو ست مئة سنة؛ وتبدو الكتابة واضحة، ولكنّها نحيلة، وتصعب قراءتها أحيانًا.

يدلّ عنوان "الزّيج" على أنه ليس بحثًا متكاملًا في علم الفلك. وبحسب رأي الكاتب، استندت مبادئ هذا العلم إلى كتاب بطليموس، ولم يهدف ابن يونس إلا إلى جمع ما له علاقة بتدوين الملاحظات والحسابات واستخدام الأزياج، أكانت خاصّة بعلم الفلك أو مرتبطة بالترتيب التاريخي أو علم المثلّثات، والتي يحتاجها عالم الفلك باستمرار. أما هدفه فتصحيح الأزياج التي كانت تُستخدم في زمانه وكشف الأخطاء الواردة فيها. وقد جمع لهذا الغرض عددًا كبيرًا من الملاحظات التي أبداها علماء سبقوه وأضاف إليها ملاحظاته التي صَمَّمَ الأزياج استنادًا إليها." (16–23)

من كتاب ألف ليلة وليلة،

حكايات عربيّة، ترجمة غالان، مع *تتمّة لها*، تأليف كوسّان دي پرسڤال، لونورمان (Lenormant)، باريس، 1806، 9 مجلّدات، (بالفرنسيّة).

https://fr.wikisource.org/wiki/Les_Mille_et_Une_Nuits

"قبل أن نتكلم عن تكملة "ألف ليلة وليلة" التي ننشرُها اليوم، يتوجّب علينا الإضاءة على النّصّ العربيّ الأصليّ والجزء الذي ترجمه السيد "غالان" (Galland).

إن نُسَخ "ألف ليلة وليلة" الكاملة نادرة في أوروبا وفي الشرق أيضًا، ولا تتشابه كلها تمامًا؛ ونجد في المكتبة الإمبراطوريّة في باريس نسختين، والاثنتان غير كاملتين على الإطلاق.

وتتألّف أولى النسختين، وهي بالأساس ملك السيد غالان، من ثلاثة مجلدات وكلٌّ منها يتضمن 140 صفحة صغيرة، يبلغ حجمها ربع الصفحة العادية، لكنّها لا تحتوي إلا على 282 ليلة، وتنتهي عند بداية قصّة الأمير قمر الزمان تقريبًا، وهي تلي قصة نور الدين وبدر. وبالتالي فإن هذه المجلّدات الثلاثة التي لا نعثر فيها على أسفار السّندباد لا تشمل إلا نصف ما ترجمه السيد غالان. ومع ذلك فإن هذه النسخة ثمينة بما لا يربو إليه الشّك، فأسلوبها متين وبديع، فلا تضاهيه نسخ "ألف ليلة وليلة" الأخرى التي قرأتها والتي نُشِرت مقتطفات منها. والفرق بين هذه النسخة والنسخ الأخرى شاسع لدرجة يجعل عددًا كبيرًا من العرب لا يفهمون هذا النص كما أنّ قصصها أطول وأكثر تفصيلًا.

ويتّضح ممّا سبق: أولًا، أن هذه المخطوطة تتضمّن نصّ الكتاب الأصلي وقد شابت شوائب التحريف والتخريب المخطوطات الأكثر حداثة؛ وثانيًا أن عمر هذه المخطوطة

يقارب إلى درجة كبيرة تاريخ تأليف ألف ليلة وليلة. وبما أن حرف الكتابة يبلغ من القدم مئتي سنة حسبما يبدو، فيمكننا، بالاستناد إلى هذه المعطيات، الترجيح بأن هذا العمل قد كُتِبَ في منتصف القرن السادس عشر(...)

ويدفعُني التشابه بين المخطوطات الثلاث هذه إلى الظّن بأن نسخة ألف ليلة وليلة هذه هي الأكثر شهرةً وتداولًا، ولعلّها النسخة الوحيدة المتوافرة أقلّه في مصر. ولولا النسخة التي سأتحدّث عنها الآن، والتي تبدو مختلفة اختلافًا شاسعًا عن النسختين الأخريين، أقله في أجزائها الأخيرة، لَظننتُ أنّ ما من نسخة أخرى للكتاب في الشرق.

ويدفعني هذا الاختلاف الذي يبدأ عند ربع الكتاب وبعد قصة قمر الزمان للترجيح بأن المؤلف أو جامع القصص الأوّل، والذي لا تزال هويّته مجهولة، قد توقف عند هذا الحدّ وأن أيادي أخرى تابعت الكتابة وأضافت عليها مواد جديدة. وترجّح أسباب متعدّدة هذه الفرضية، ومنها أن قصص ألف ليلة وليلة الأخيرة في المخطوطات العربية تتضمن طُرُفًا وقصصًا قصيرة وحكايات خرافية لا تشبه ما سبق، وكأنها قطع مركّبة أو حشو زائد عليها؛ وأنّ عددًا من القصص الطويلة جدًا كانت قصصًا منفصلة، وهذه هي حال رحلات السّندباد الموزّعة

أصلًا على سبعة أبواب كل منها يروي سفرة من أسفاره، لكنّ السيد غالان قسّمها على 21 ليلة ووضعَها في قالب جديد.

أما الجزء الأوّل من الكتاب والذي يبدو الأصل، على الأقلّ مقارنةً بالأجزاء الأخرى، فينبغي برأيي تمييز مغامرة الشقيقين شهريار وشاه زمان عن القصص التي تليها، وأظنّ أن بعضها، حتّى لا أقول معظمها، لم يؤلّفها الكاتب الذي كتب القصة الأولى.

ويؤخذ على السيد غالان أنّه ترجم بتصرّف كبير. لكنّ هذا الانتقاد لم يأخذ بعين الاعتبار عبقرية كلِّ لغة، واختلافها عن اللّغات الأخرى، وطبيعة مضمون الكتاب. كان السّيد غالان يُتقن العربية، ولكنه لم يعتقد أن كلّ ما يُترجَم حرفيًا من العربية سينال إعجاب القرّاء الفرنسيين، وهو أراد أن يقدّم عملًا جميلًا في لغته الأم وقد نجح في ذلك، ولكن تحقيق ذلك جعله يراعي ذوق بلده. ولذلك لم يضطر إلى حذف بعض المقاطع وتلطيف مقاطع أخرى أو تفسيرها وحسب، بل إلى الزيادة أيضًا، فالكتّاب العرب الذين غالبًا ما يقعون في فخّ التّكرار، أو يتوقفون عند تفاصيل غير مهمّة، يتركون أحيانًا أشياء كثيرة مبهمة فيبدو سردهم الخصب، على مثال مخيّلتهم، سريع الوتيرة، وحتى مبهمًا بالنسبة إلينا. ولو التصق السيد غالان التصاقًا كاملًا بنصّه الأصليّ لَقدَّم لنا عملًا يفتقد إلى النواحي الجماليّة.

تختلف تكملة ألف ليلة وليلة التي قام بها كلٌّ من السيدين "شافيز" و"كازوت" والتي صدرت في عام 1788 اختلافًا شاسعًا عن عمل السيد غالان، وهي بعيدة كل البعد عن نكهتها الشرقيّة، حتى ظن العلماء أنها كتاب من تأليفهما.

لقد عثرتُ في المكتبة الإمبراطوريّة على المخطوطة التي شكّلت منهلًا غرفَ السيد شافيز منه القصص التي ألهَمَت السيّد كازوت والتي عمل هذا الأخير على تجميلها وتطويعها على طريقته، وألبسها رداء صمّمتْه بناتُ أفكاره. وعندما قارنت هذه المخطوطة مع نصّ السيد كازوت وجدت أنه زاد كثيرًا على المادة، فأثقلها بالوصف والأحداث والأفكار، فأمست بعيدة كل البعد عن القصص الأصليّة.

برأيي، يكفي ما قلته عن عمل السيد كازوت، ونحن لا نقلّل من قدر هذا الكاتب الفذّ، للتّوضيح بأن هذه الترجمة لا يمكن اعتبارُها مكمِّلةً لعمل السيد غالان، ولذلك وجدتُ أنه عليّ السّير على خطى هذا العالم المستشرق، وترجمة القصص التي عثرتُ على مصدرها العربي ترجمةً أكثرَ أمانةً للنصّ الأصليّ.

وإذ أضع بين أيديكم هذه القصص، لا أحاول الإيحاء بأنها جزء من ألف ليلة وليلة حقًّا، بل أؤكد أنني لم أجدها في أيّة مخطوطة أخرى سبق لي الاطّلاع عليها، وحتى المخطوطة التي

ترجمتُها لا تذكر بأن هذه القصص جزء من كتاب ألف ليلة وليلة." (ص.ص. 8–12، 19–20)

من كتاب الصّوفـــي:

الصُّوَر السّمائيّة، (بالعربيّة)، مع ترجمة مقدّمته إلى الفرنسيّة، في: *أبحاث قصيرة عن المخطوطات ومقتطفات منها*، المجلّد 12، 1831، ص.ص. 236–276

https://bit.ly/3o1PDhJ

"ألّف العالم العربيّ المعروف باسم الصوفيّ كتابًا موسعًا عن الصور السّمائية وسأقوم بإطلاعكم عليه بشكل مفصّل بعد أن أعرّفكم بإيجاز إلى الكاتب والحقبة التي عاش فيها.

أما اسم الصوفي الكامل فهو أبو الحسين عبد الرحمان بن عمر بن سهل الصوفي الرازي، أما لقب الصوفي فيدلّ على ارتباطه بجماعة الصوفيّين، والرازي على أنه من مدينة ري في بلاد فارس. ونحن لا نعرف شيئًا عن ظروف حياته إلا ما نقل عن أبي الفرج أي أنه توفي في عام 376 للهجرة (986–987 للميلاد) وعمره 85 سنة وبالتالي يمكننا القول إنه ولد في عام 291 للهجرة (903 للميلاد).

ونقلًا عن أبي الفرج أيضًا، كان عبد الرحمان الصوفي عالماً من الطراز الأول، وصاحب عقلية فذّة، وذا سمعة لا يشوبها شائب. وترك لنا كتبًا متعدّدةً أهمها كتاب "الصور السّمائية" بالرسوم الملونة، وكتاب "الأرجوزة"، وكتاب "تطارح الأشعّة"، والأكيد أن الكتاب الأخير عبارة عن بحث في علم الفلك، أما "الأرجوزة" فكتاب شعر، لكننا نجهل مضمونه.

وبالإضافة إلى شهادة المؤرخ العربي المذكور أعلاه عن الصوفي وابن الأعلم، أذكر ما قاله عالم الفلك الشهير ابن يونس الذي وافته المنيــة 30 عامًا بعد وفاة العالمين المذكورين أي في عام 399 للهجرة (1008 للميلاد)، إذ عدّ ابن يونس الصوفي من ضمن العلماء الذين راقبوا الفلك بدءًا من مؤلفي الزيج الممتحن وصولًا إليه. (...)

ونعود إلى كتاب الصوفي (...)، وقد ذَكَر مؤلّفون كُثُرٌ كتبوا عن الصور السمائية كتابَ الصوفيّ، ولكنّ هذه الاقتباسات جاءت مُنفَصِلَة عن سياقها، ومُقتَضَبَة، ولا تعطي فكرة كاملة عن الكتاب، فلا تروي ظمأ فضولنا حوله.

أما كتاب القزويني عن الصور السمائية الذي نشره السيد آيدلر قبل بضع سنوات فليس إلا مقتطفًا من كتاب الصوفي، ولكن معظم هذه المقتطفات تفتقد إلى الدقة، وقد أغفل الكاتب تفاصيل مهمة كثيرة.

وأهدى الصوفي كتاب الصور السمائية إلى "عضد الدولة" وألّفَه، حسبما يبدو، لتعليم هذا الأخير. وقد اقتنت مكتبة باريس الملكية عدة نسخ منه وأرقامها (...)، وتظهر فوارق ضئيلة ما بين النسخ واعتمدتُ على ثالثتها، وهي غير مُعَنوَنة. وقد أطلق عليه أبو الفرج في المقطع الذي ذكرتُهُ للتوّ عنوان "كتب الصور السمائية" أي مجموعة الكواكب (...)

ومن المستحبّ قبل أن نطّلع على وصف الصوفي لكل كوكبة أن نذكر ما كشفَه في مقدمته عن حالة هذه المعارف في عهده والأخطاء التي اقترفها من سبقوه ممن اهتموا في هذا الموضوع. وتبدو التفاصيل التي يتعمق فيها الكاتب طويلة بعض الشيء، ولكنها ضرورية لمعالجة هذا الموضوع، كما تُثبت مدى دقة الصوفي وأفق عمله الواسع." (ص.ص. 236–240)

مختارات ممّا قيل في
جان - جاك أنطوان كوسّان دي پرسڤال

عن شخصيّته:

بيار-كلود-فرنسوا دونو، "نبذة تاريخيّة عن جان-جاك أنطوان كوسّان دي پرسڤال" في: *رسائل معهد فرنسة:* 1845، ص.ص. 165-177 (بالفرنسيّة)

https://www.persee.fr/doc/minf_0398-3609_1845_num_14_1_1831

"لقد أحاطته زوجته الشابة بعنايتها، إذ كرّست نفسها له، كما احتضنته عائلته الكبيرة التي تحبّه أيضًا، ممّا واسى السيد كوسان في فترة آلامه وفترة احتضاره الطويل، لكنّ عزاءه الفعلي تمثّل في رؤية عمله يُستَكمل، وحياته كأنها تبدأ من جديد بفضل ابنه الذي أخذ مكانه في معهد فرنسة "كوليج دو فرانس"، وقد عمل ابنان من أبنائه الخمسة في السلك القضائي وشرَّفا والدهما، ويتابع الصغيران دراستَهما.

وقد وافت المنيّة السيد "كوسّان" في 29 تموز 1835 وقد بلغ من العمر 76 سنة. وبعد مرور يومين على وفاته، عبّر زملاؤه ورصفاؤه عن احترامهم العميق له، فألقى كل من رئيس الأكاديمية

لتلك السّنة، والسيد "كاترمير" أحد أساتذة "معهد فرنسا" خطابين جنائزيين للإشادة فيه. ويتحدث من حالفهم الحظّ وربطتهم به علاقات عميقة عن مناقبه وأخلاقه الحميدة وشخصيته النبيلة، إذ لم يكن طوال عمله في الأكاديمية الفرنسية، وقبلها في مدرسة فرنسة ومكتبة الملك زميلًا ممتازًا وحسب، بل مستشرقًا بارعًا وناقدًا فذًّا أيضًا." (ص. 177)

عن ترجمة كتاب النّويري: *تاريخ صقلّيّة*

بيار-كلود-فرنسوا دونو (المصدر السّابق نفسه)

"وقد حصدت النسخة الفرنسية المديح الذي تستحقه خصوصًا في تقارير الجوائز التي تُسلّم كلّ عشر سنوات (...)، فقد أعطى السيد "كوسان" بأسطر قليلة معلومات دقيقة عن الكاتب النويري وعن طبيعة هذه المرحلة التاريخية الصغيرة التي لا تشكل إلا فصلًا من الكتاب الّذي يُشبه الموسوعة." (ص.168)

عن ترجمة *كتاب الزّيج الكبير*

بيار-كلود-فرنسوا دونو (المصدر السّابق نفسه)

"وملأ إعلان النسخة الفرنسية عن جزء من هذا الزيج أول 12 صفحة من المجلد الثاني من رسائل صفّ علوم الرياضيات

والفيزياء في المعهد الجامعي، وهو مجلّد نشر في عام 1799. وتمّ التطرّق إلى هذه الترجمة باعتبارها خدمة جليلة قدمت إلى علم الفلك، ومكسبًا ضخمًا فهي صيغت لتثبت - بفضل تسلسل طويل للوقائع - نظريات لا تزال تحتاج إلى هذا النوع من المناقشة، خصوصًا فيما يتعلق بانخفاض الميل المحوري في مسار الشمس المتدرج." (170-171)

عن ترجمة *ألف ليلة وليلة*

سيلفستر دي ساسي، "رسالة في مصدر مجموعة حكايات بعنوان *ألف ليلة وليلة* "، في: *رسائل معهد فرنسة*، 1833، 10، ص.ص. 30-64

https://www.persee.fr/doc/minf_0398-3609_1833_num_10_1_1272

"لم يشر السيد غالان وهو من عرَّف أوروبا بكتاب ألف ليلة وليلة إلى تاريخ تأليفه ولا المكان الذي أبصر فيه النور، وهو ينسبه في الإهداء الذي وجهه إلى الماركيز "دو" ابنة السيد "دو غييوراغ" إلى كاتب عربيّ مجهول. أما السيد "كوسان دو برسوڤال" الذي أضاف مجلّدين على نسخة قصص ألف ليلة وليلة التي نشرتها مكتبة لونورمان في باريس عام 1806، فقد ظنّ أنه يستطيع تحديد فترة كتابتها بشكل تقريبي استنادًا إلى

ملاحظتين وجدهما في مخطوطة السيد غالان التي جلبها من سوريا. ويستخلص زميلنا العالِم من هاتين الملاحظتين أن كاتب القصص بقي على قيد الحياة ما بين الأعوام 955 و973 للهجرة، وتستند هذه الفرضية إلى لغة الكتابة وهي بعيدة عن الفصحى وتتضمن كتابة عامية، ولكن لا بدّ من الاعتراف بأن هذه الحجة ليست دامغة إذ يمكننا الافتراض بأنّ الأسلوب الأصلي للقصص قد أدخَلَ النَسَخَةُ تعديلات عليه، أما بالنسبة إلى الملاحظتين اللتين يؤكد على صحتهما فسأُثبت أنه قد التبس عليه أمرهما" (ص.ص. 30–31) (...)

"أن يتمَّ إثراء مجموعة القصص وزيادتها بحيث تختلط الشوائب مع المعادن النفيسة أمر يسهل تصديقه؛ ولكن أن يتمّ اعتبار هذه المجموعة جديرة بالترجمة من الفارسية إلى العربية في أزهى عصور الأدب الإسلامي، وأن تُلغى نصوصها الأصيلة شيئًا فشيئًا ويستعاضَ عنها بمواد ذات قيمة متدنية وبقصص رديئة مثل قصة "الجارية تودد" فهذا منطق يشوبه التناقض (...)

وأخيرًا هل يسمح لنا كل من أسلوب الكتاب المتين ولغته الصحيحة رفيعة المستوى وصوره البلاغية الغنية بالافتراض أن الكتاب قد أُلِّف في حقبة تسبق عصر انحطاط الأدب العربي؟ أبدًا، فالكتاب أسلوبه عامّي ولغته تتضمن كل عناصر الانحطاط وبالتالي تدلّ على صياغة حديثة مصدرها مصر. (...)

أما تاريخ تأليف مجموعة *ألف ليلة وليلة* فيقع في القرن العاشر الهجري كحدٍّ أقصى إذا ما جزمنا بصحة ما قاله السيد "كوسان" عن المخطوطات التي وجدها عند السيد غالان المتضمنة ملحوظتين أولاهما مؤرّخة في العام 955 للهجرة وثانيتهما في عام 973 للهجرة وقد تمنى من كتبهما طول العمر للمؤلف. لكنّ السيّد كوسّان لم ينتبه إلى أنّ وهبة بن رزق الله، وهو كاتب مسيحيّ ساكن في طرابلس الشام، تمنّى طول العمر لمالك الكتاب (مالكه) وليس لـ(مؤلفه). ووهبة صاحب خط يسهل تمييزه بين مجموعة الملاحظات المتشابهة وقد دوّن ملاحظة من النوع نفسه في بداية المجلد ورقمها 1506 لكنها غير مؤرخة. (...) ولذلك ينبغي التخلي عن تاريخ تأليف ألف ليلة وليلة المستند إلى ملاحظة السيد كوسّان. أمّا بالنسبة إلى المكان، فعلى غرار ناشر نصّ "كالكوتا" العربي، لا أجد سببًا يمنعنا من الاعتراف بأنّ هذا الكتاب ألّفَه أحد سكان سوريا، أو على الأقل استهل مشروع كتابته. وأشدّد هنا على جملة "على الأقل استهل مشروع كتابته" لأن التنوّع الكبير في المخطوطات يجعلنا متفقين مع السيد جوناثان سكوت، وهو يرى أن الشخص الذي بدأ هذا العمل وفكّر في أن يصلَ به إلى ألف ليلة وليلة لم ينهه وربما منعه الموت أو أي ظرف آخر عن ذلك، فبقي العمل ناقصًا بحيث إنه في حقبة لاحقة قام عدة نَسَخَةٍ أو

أدباء من سكان مصر بإكمال عدد الليالي، تارةً عبر تغيير تقسيمها، وتارةً أخرى عبر إدخال قصص رومنسية معروفة منذ زمن طويل مثل قصص السندباد البحري، ورواية سندباد، وحكاية الجارية الجميلة "تودّد" ومجموعة طرائف يتناقض إيجازها وطريقة سردها مع طبيعة القصص التي نعتقد أن المؤلّف الأوّل كتبها. (46–51)

عن *مقامات الحريريّ*، سيلفستر دي ساسي، "مقامات الحريريّ الخمسون، أو مغامرات الحارث وأبي زيد السّروجي، تأليف أبي محمّد القاسم الحريري من البصرة، نشَرَها السّيّد كوسّان دي پرسڤال، باريس 1818، في" *جريدة العلماء*، أيّار 1819، ص.ص. 283–287 (بالفرنسيّة):

https://gallica.bnf.fr/ark:/12148/bpt6k57226x/f10.item

"أعلنّا، ونحن نقدّم تقريرنا سنة 1811 عن الدفترين الأوّلين من مجلّد "مناجم الشرق" الأول في "المجلة الدّوريّة الموسوعيّة"[1] عن اقتراحنا نشرَ نسخة كاملة عن نصّ مقامات الحريريّ مع حواشيها العربية، كما أعلنّا أنّنا سنبدأ العمل عليها قريبًا. (...)

ثمّ عدنا بعد حين إلى المشروع الذي كدنا أن نتخلى عنه تمامًا، بعد أن كنّا نوينا الإلحاح على تنفيذه. لكننا عرفنا آنذاك

(1) Magazine (Magasin) encyclopédique

أن طبعة ثانية للنص قد أنجزت في باريس وها نحن اليوم نعلن عن صدورها. (...)

والآن لم يبقَ أمامنا إلا مراجعة كل الطبعة التي صَدَرَت من ناحية نقد النص ومراجعة الأخطاء المطبعية، ولا يمكن أن ندخل في تفاصيلهما من دون أن نورد اقتباسات كثيرة تولّد سأمًا لدى معظم القرّاء. ولذلك سنكتفي بالقول إن الناشر الذي لم يضع الحركات إلا نادرًا قد تفادى أكثر الأخطاء الطباعية شيوعًا، لكنّ طبعته ليست خالية منها، ناهيك عن أخطاء في بنى الجمل يتحمّل الناشر مسؤولية عدد كبير منها، وكان من الممكن تفاديها لو تم الالتزام بطبعة كالكوتا، ولو حصل ذلك لَتفادى نوعًا آخر من الأخطاء أي تلك المتعلقة بالعروض وتقسيم الأبيات إلى صدر وعجز. ونحن سنركّز على هذه النقطة التي لطالما أغفلها مستشرقونا، والتي لم نُعِرها في السابق الاهتمام الكافي. ويكفي حتى نوفيَها حق قدرها، أن نعرف أنها من أساليب النقد الأسلم والأكثر إثراء التي يمكن أن يلجأ إليها الناشر. وسندعم هذا المقال النقديّ ببعض الأمثلة. (...)

وما أسهل إيراد أمثلة إضافية تتضمن أخطاء منتشرة في كل المجلد، كما في كل ما جرى نشره حتى الآن، لكننا لا نرمي إلى تسليط الضوء على أخطاء ناجمة عن قلّة انتباه وقعنا فيها نحن أيضًا، بقدر ما نرمي إلى تخليص الطبعات المستقبلية للشعر

العربي من عيوب كهذه، وسنحرص على ألا نطيل هذه المقالة من دون داع عبر إيراد اقتباسات جديدة.

وتُعدّ مقامات الحريري التي نشرها السيد "كوسان" من أول الكتب ذات طريقة طباعة عربية وضعها اعتمادًا على أحرف نفذها فنان فرنسي هو السيد "موليه"[1]. (...) ولا يمكننا القول إن الأحرف العربية التي استعملها جميلة أو تضاهي أحرف "سافاري"[2] أو "ميديسيس"[3]، ولكننا مقتنعون بأن السيد "كوسّان" قد قدّم خدمة جليلة للأدب العربي بعد أن وضع في متناول الجميع وسيلة جديدة لنشر النصوص العربية.

وللوهلة الأولى، بدت لنا طبعة مقامات الحريري التي أنجزها السيد "كوسّان" سببًا كافيًا للتخلي تمامًا عن القيام بمحاولات أخرى من هذا القبيل. ولكن، بعد أن فكّرنا بتروٍّ، وأخذنا في اعتبارنا رغبة كثيرين من محبي الأدب العربي، عدلنا عن رأينا. إن طبعتنا المرفقة بمجموعة مختارة من الحواشي العربية والمطبوع نصها مع حروف العلة والحركات العربية ستوفر للطلاب عدة فوائد في آن، وكلنا أمل في أن نباشر في طبعها خلال أربعة أشهر." (ص.ص. 283-287)

---

(1) Molé
(2) Savary
(3) Médicis

من أهمّ أعمال جان-جاك أنطوان كوسّان دي پرسڤال
(حسب تسلسل تاريخ صدورها)

مُتَرجَمَة إلى الفرنسيّة:

1- السيّد البارون ريدزيل (Riedsel)، *سفرات إلى بلاد اليونان الكبرى والمشرق*، مترجم إلى الفرنسيّة، مُلحَق به: *تاريخ صقلّية*، (ص.ص. 395-448)، ترجمه إلى العربيّة ج.ج.أ. كوسّان دي پرسڤال، جانسين (Jansen)، باريس، 1802

https://archive.org/details/voyagesensicile00riedgoog

2- كتاب الزّيج الكبير الحاكمي: *رصد الشيخ الإمام العالم العلامة أبي الحسن علي بن عبد الرحمان بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى ابن موسى بن ميسرة بن حفص بن حيان*، في: *إشعارات المخطوطات ومقتطفاتها*، المجلّد السّابع، باريس، 1804، ص.ص. 16-240

https://bit.ly/3AH7Og6

3- *ألف ليلة وليلة*، حكايات عربيّة، ترجمة غالان، مع *تتمّة لها*، تأليف كوسّان دي پرسڤال، لونورمان (Lenormant)، باريس، 1806، 9 مجلّدات.

https://fr.wikisource.org/wiki/Les_Mille_et_Une_Nuits

منشور بالعربيّة: الصّوفي: *الصُّوَر السّمائيّة*، مع ترجمة مقدّمته إلى الفرنسيّة، في: *إشعارات المخطوطات ومقتطفاتها*، المجلّد 12، 1831، ص.ص. 236–276

https://bit.ly/3o1PDhJ

أرمان - بيار كوسّان دي پرسڤال

الباب الأوّل
المريد بين النّزول إلى الميدان وسهر اللّيالي

التّمهيد

سار أرمان-بيار كوسّان دي پرسڤال على خطى أبيه، فغدا مثلَه علَمًا من أعلام الاستشراق، وذاع صِيتُه باحثًا متفوِّقًا غدت أبحاثُه مرجعيّةً موثوقًا بها في ميادين اللّغة العربيّة وآدابها وتاريخ الشّعوب النّاطقة بها، ومعلّمًا مميّزًا يقصدُه كلّ من رغب في تعلّم لغة الضّاد بفصحاها وعاميّاتها، وفي اكتشاف حضارة شعوبها وتاريخهم وآدابهم. غير أنّ مساره أتى مغايرًا لمسار أبيه، بل لمسارات أغلب المستشرقين الّذين سبقوه أو عاصروه. فمـا أن أنهى فـي باريس دروسه بتفوّق حتّى قصد الشّرق وبـلاد العـرب، حيـث عـاش اختبـارًا ميدانيًّا سيترك بصمات لا تُمحى لا على شخصيّته فحسب، بل على توجّه دروسه، وأبحاثه، ونتاجه.

أوّلًا: هو

ولد أرمان-بيار كوسّان دي پرسڤال في باريس سنة 1795، في ظروف تُعدّ نادرة، إذ شاء القدَر أن تكون ولادتُه في مبنى "معهد فرنسة – كولّيج دي فرانس"، في الجناح نفسه الذي استقرّت فيه، بعد حين، ولمدة محدودة، "مدرسة اللغات الشّرقيّة الحيّة" الشّهيرة التي أصبح، فيما بعد أستاذ اللغة العربيّة فيها، ممّا جعله يداعب طلّابه في أحد الأيّام، قائلًا: "في هذا المكان بالذّات وُلِدت"[1]، وتابع دروسه التّقليديّة العامّة في "الثّانويّة الإمبراطوريّة" التي أصبحت، فيما بعد، "ثانويّة لويس الكبير"، فكان من بين المتفوّقين، إذ حاز، في سنة تخرّجه، الجائزة الثّانية في مباراة الخطابة باللغة الفرنسيّة.

ثانيًا: الرّحّالة

وبعد أن أتمّ دروسه، قرّر سنة 1814 تعلّمَ اللغات الشّرقيّة التي كان سيتكرّس نهائيًّا لها. وها هو يعيّن طالبًا ترجمانًا، ويُرسَل، بهذه الصّفة، إلى القسطنطينيّة، ومنها إلى سميرنا. وها هو ينتقل إلى سوريّة ما بين 1816 و1817، لا إلى المدن المنتشرة على

(1) هنري والُّون، "نبذة تاريخيّة عن حياة أرمان-بيار كوسّان دي پرسڤال" في: *رسائل معهد فرنسة – اينستيتو دي فرانس*، 1888، 33-1، ص.215
https://www.persee.fr/doc/crai_0065-0536_1880_num_24_4_68665

شواطئ البحر الأبيض المتوسّط، وفيها قد يقع الغربيّ بعامّة، والفرنسيّ بخاصّة، على من يُتقن لغتَه، فيتواصل معه، غيرَ شاعِرٍ بالغربة، بل إلى قلب جبل لبنان، فيستقرّ بين الموارنة، يعيش معهم، ويُجبَر على استعمال لغتهم فهمًا وتعبيرًا؛ لأنها وسيلة التّواصل الوحيدة المتاحة أمامه، فيعيش ما يعيشه متعلّمو العربيّة، ويكتشف ما يعانونه، فتتوسّع، عن طريق حالات التّواصل اليوميّ، خبرته التّربويّة في تعليم العربيّة.

ولم يقتصر اختباره الميدانيّ على عيش اللغة مع النّاطقين بها، وعلى ترسيخ كفاياته التي اكتسبها على مقاعد المدارس الباريسيّة المتخصّصة باللغات الشّرقيّة بعامة وباللغة العربيّة وآدابها بخاصّة، بل على التعرّف، من الدّاخل، إلى عادات من عايشهم طوال سنتين، وإلى تقاليدهم وأنماط تفكيرهم.

وسنحت له الفرصة في تثبيت معارفه العامّة: فها هو يغادر جبل لبنان، ويجول بين بعلبك، ودمشق، ومدنٍ أخرى في أرجاء بلاد الشّام، ويستقرّ في حلب، للقيام بمهامّ الترجمان لدى بعثة فرنسيّة أرسلتها وزارة الدّاخلية الفرنسيّة، لشراء جيادٍ عربيّة من المنطقة الممتدّة من سوريّة إلى تخوم شبه الجزيرة العربيّة، ويلتقي هناك برجل الصحراء، إمّا على ظهر حصانِه، وإمّا تحت خيمته، فيرى بأمّ العين الصحراء الممتدّة إلى الآفاق اللامتناهية، في حرّ الظهيرة أو على ضوء القمر، وأن يسهر في العراء، مراقبًا

صفاء السّماء تضيئها النّجوم. ولعلّ أهمّ ما التقاه وما سينطبع لا في ذاكرته فحسب، بل في عمق وجدانه وفي صلب تصرّفه اليوميّ، رفيقُ العربيّ في حَلِّه وترحاله، في نزهاته وسفراته، حصانُه الأمين الذي يلازمُه ليل نهار. وها هو دي پرسڤال [1]، بعد عودته إلى باريس، يتنزّه، كلّ صباح، في جادة "الشّان – إيليزيه"[2] على ظهر حصانه، قبل أن يعود إلى متابعة أبحاثه، ودراسة مخطوطاته وتحضير دروسه ومحاضراته، ولم يُثنِهِ عن هذه النّزهة الصباحيّة إلّا المرض الذي أقعده قبل وفاته بسنوات.

ثالثًا: المعلّم

عاد دي پرسڤال إلى باريس سنة 1821، وقد أتقن اللغة العامّيّة إتقانًا كاملًا، وانصَرَف من جَديد إلى متابعة دراسة الفصحى وترسيخ مكتسباته فيها على أكمل وجه، وكان في متناول يديه أفضل الوسائل والأجواء التي يمكن مريدٌ مثابرٌ مثلهُ أن يحلمَ بها، نَظَرًا إلى تردده المباشر على منابع الاستشراق

(1) نكتفي من الآن وصاعدًا باستعمال تسمية "دي پرسڤال"، وهي تدلّ في هذا العرض على أرمان-بيار، لا على الأب جان-جاك-أنطوان الّذي خصّصنا له العرض الأوّل

(2) جادة الـ Champs – Elysées، وهي أكبر جادة في باريس، تحمل لقب "أحلى جادة في العالم"

من مخطوطات ومنشورات وإلى التّواصل مع أبرز وجوهه، ليس أقلّهم والده. غير أنّ مدرسة اللغات الشرقيّة الحيّة استدعتْه في تشرين الأوّل من السّنة عينها، لتأمين دروس اللغة العامّيّة، على أثر وفاة سلفه، الأستاذ المصريّ القبطيّ، إلياس بُقْطُر[1]، ترجمان الجيوش الفرنسيّة في حملة نابوليون بونابرت على مصر، الّذي كان يشغل كرسي اللغة العامّية. وما لبث أستاذ العامّيّة الجديد أن عُيِّن بعد سبع سنوات، في عام 1828، أستاذًا رديفًا لوالده في كرسي اللغة العربيّة الفصحى في "معهد فرنسة – كولّيج دي فرانس"، ثّمّ أستاذًا أصيلًا سنة 1833، بعد تخلّي والده عن مهامّه فيه. وهكذا غدا مسؤولًا أوحد عن تعليم الفصحى والعامّيّة معًا، طوال ما يقارب الثلاثة عقود.

فكان من الطبيعيّ أن يتهافت عليه طلّاب العربيّة الفصحى والعامّيّة من كلّ حدب وصوب، فيستمعون إلى محاضراته عن اللغة الفصحى وآدابها وتاريخ الشّعوب التي نطقت بها، أو يتابعون دروسه في العامّيّة، فيشتركون في التّمارين الحيّة التي يقترحها عليهم، في سبيل التّواصل الشّفهي، أو يتحلّقون حوله، للاستفسار عمّا بقي مبهمًا، أو للتعليق على ما لفت انتباههم، أو

(1) اعتمدنا في كتابة اسم الكاتب المصري وشهرته ما هو مستعمل بشكل غالب في النّصوص العربية، "إلياس بقطر" بدلًا من "إليو بختر"

لطلب نصيحة أو توجيه. ولا شكّ في أنّ إتقانه الكامل للعامّيّة والفصحى مشفوعًا بطاقات تربويّة مميّزة جعل منه مرجعًا موثوقًا به، لا عند طلّابه فحسب، بل لدى المستشرقين الكبار في البلاد الأوروبيّة المجاورة ومنهم، على سبيل المثال، الألماني فليشير[1] الّذي أقرّ بما مدّه دي پرسڤال من تفسيرات مصيبة حول بعض مقاطع كتاب *ألف ليلة وليلة*، إمّا في محاضراته وإمّا في أثناء اللقاءات به[2].

رابعًا: البحّاثة

أمّا نجاحُ دي پرسڤال في حقل التّعليم، وأثرُه الطّيّب في طلاّبه وزملائه ومعاصريه، فمردّهما، كما كانت الحال عند أبيه، لا إلى امتلاك الطّاقات التّربويّة الفطريّة والمكتسَبَة، والمعلومات الدّقيقة والغنيّة المحصَّلَة حول الاختصاص موضوع التّعليم فحسب، بل إلى الشغف بالبحث المستمرّ مدى الحياة، وإلى نتائجه التي تمدّ موادّ التعليم بإضاءات متجدّدة وتوجّهات غير مألوفة. فالبحّاثة يعمل بدوام كامل، لا ينقطع عن البحث إلّا للقيام بالمهام المتعدّدة الملقاة على عاتقه، كالتّعليم، والتّداول مع الطّلّاب، ومتابعة نشر المقالات والرّسائل والكتب. وهكذا

(1) Fleischer

(2) هنري والُّون، المرجع المذكور سابقًا، ص. 221

كان دي پرسڤال، المعلّم على مدى الحياة في أعرق مؤسّستين فرنسيّتين تدرّسان اللغة العربيّة، منكبًّا باستمرار على أبحاثه المتعدّدة تعدّد الموادّ التي يدرّسها، فكان على التوالي بحّاثةً في المعجميّة، مرورًا بالنّحو والأدب، وصولًا إلى التّاريخ.

أ- المعجميّ

عند حلوله محلّ سلفِه، إلياس بُقْطُر، رأى نفسَه مُلزمًا بإكمال عملٍ لم يستطع الأخير إنجازه، قبل وفاتِهِ، وَفاءً له وتكريمًا لذكرِه، وهو معجم فرنسيّ–عربيّ كان في حوزة هاوٍ من هُواة لغات الشّرق وآدابه، الماركيز اميدي كليرمون تونّير[1] الّذي حافظ على مخطوطة بُقْطُر وأوكَل إلى دي پرسڤال، بعد تعيينه خلفًا له، مهمّة مراجعتها ونشرها. فانصَرَف الأستاذ الجديد إلى إنجاز المعجم ونشرِه، بعد أن أدخَلَ عليه التصحيحات والتّعديلات والزّيادات الضّروريّة، مبرّرًا ومفسّرًا إيّاها في مقدّمة مُقتضبة وهامّة، كما قدّر فيها مساهمته في المعجم بما يُوازي نصفَه، وصدَر المعجم المنتظر سنة 1828–1829 [2].

(1) Amédée de Clermont-Tonnerre

(2) إلياس بُقْطُر، *مُعجَم فرنسي– عربي*، أعاد النّظر فيه وأكملَه أ.ب. كوسّان دي پرسڤال، فيرمان – ديدو (Firmin-Didot)، باريس، 1828–1829

ب- النّحويّ

وكان نتاجه الثاني كتابًا في *قواعد العربيّة الدّارجة*[1]، مع ملحقٍ يحتوي على حوارات، ورسائل، ووثائق، مُخَصَّصة لتلامذة المدرسة الملكيّة الخاصّة باللغات الشّرقيّة الحيّة، نُشِرَت الطّبعة الأولى منه سنة 1824، تلتها ثلاث طبعات. ولا شكّ في أنّ الكتاب وملحقاته الموضوعة للعملية التّعليميّة وللتمارين العمليّة التي تقتضيها، لاقى ترحيبًا عند الطّلاب الّذين وُضِع أساسًا لخدمتِهم، وعند كلّ طالبٍ للعربيّة مثلهم، فرأوا فيه وَسيلَةً تعليميّةً مُفيدةً ومُشَوِّقَةً في الوقتِ نفسِه، فهو يؤمِّن مَدخَلًا سهلًا مدروسًا يتّسِمُ بالوضوح والمنطِق إلى القواعد النّظريّة، ويدعَمُه بنصوصٍ مختارَةٍ في مُلحَق الكتاب من "اللغة الوُسطى" التي تتمثّل بمزيجٍ عفويّ من الفصحى والعامّيّة، فنقرَأُ فيها على سَبيلِ المَثال في "قِصّة الحكم": "وراح إلى بيتِه وقال لامرأته أمرني الخليفة أن أروح غدًا معه إلى الصّيد فوالله ما أنا قابل للرواح معه لأني معوّد على الأكل بكرة والخليفة ما يأكل إلّا قريب الظهر فأنا أموت من الجوع والله إني

(1) أرمان-بيار كوسّان دي پرسڤال، قواعد *اللغة العربيّة الدّارجة في عاميّات المشرق وبلاد البربر*، المكتبة الشّرقية، للسيّدة دونداي-ديبري (Dondey-Dupré)، باريس، 1843

ما أروح فقالت له نعوذ بالله ما يمكن المخالفة فقال لها وأيش يكون العمل"[1].

ولا يشكّل الكتاب إلّا وسيلَةً منشورَةً مُعَدّةً لجلسة الصفّ التي يعدّها دي پرسڤال جوهَر العمليّة التّعليميّة، حيث يكون الأهمّ، وهو تعلّم اللفظ والتّعبير الشفهيّ، عن طريق إصغاء المتعلّمين لِما ينطق به المعلّم، وتكرار ما أصغوا إليه وتصحيح تكرارهم على ضوء ملاحظاته وتوجيهاته، وهو يُشرِف على عمليّة تقويم النّطق عندَهم، فذاع صيتُه كمعلّم استندَ في دروسِه إلى ثلاث ركائز: المقارَبة النّظريّة المتمثِلة بشرح القواعد وترسيخها، والمقاربة التّطبيقية المعتمدة على اكتساب التواصل الشفهي عن طريق تقويم النّطق وتثبيته، والمقاربة التّربويّة التي تلجأ إلى خلق جوّ تفاعلي قريب من استعمال اللغة في الحياة اليوميّة، وهو جوّ عاشه، في أثناء إقامته في المشرق، وأصبح جزءًا لا يتجزأ من تصرّفه إنسانًا ومعلّمًا. ولن نبالغَ إن اعتبرناه رائدًا من روّاد طرائق تعليم اللغة العربية الحديثة التي ستعتمد على التّواصل والتّفاعل بين الطّلّاب.

(1) أرمان-بيار كوسّان دي پرسڤال، المرجع السّابق، من النصوص المختارة ص.9

غير أنّ هذه النّاحية التّربويّة التّعليمية لم تحجب أنظار زملاء المؤلّف وغيرهم من المستشرقين عن مقدّمة الكتاب وأهمّيتها النّظريّة في معالجة علاقة الفصحى بالعامّيّات من جهة وفي الجواب عن سؤال تربوي لا يزال اللغويّون والمعلّمون يطرحونه إلى اليوم: ما الأفضل لطالب العربيّة المبتدئ: البدء بدرس العامّيّة أو بالفصحى؟

ففي علاقة العامّيّة بالفُصحى، يرى دي پرسڤال فيهما لُغَةً واحدة، ويقوم "الفرق بينهما، كما نقرأ في مقدّمة الكتاب، على اختلافين ملحوظين، أما الاختلاف الأول فمردُّه إلى أنّ عرب العصر الحديث قد اعتمدوا كلمات جديدة مقترضة من اللغة التركية على وجه الخصوص، وأهملوا طيّ النسيان مصطلحات قديمة، وغيّروا المعنى الأصلي في مصطلحات أخرى. والثاني يعود إلى أنهم، في كلامهم اليومي، يغفلون كل القواعد التي سنّها واضعو قواعد لغتهم[1]."

وفي اللهجات المتعدّدة في البلدان العربيّة، لا يرى فرقًا يُذكَر بين لهجات شبه الجزيرة العربية وسوريا ومصر. "أما لهجة المغرب العربي فتختلف اختلافًا ملموسًا عن اللهجات الثلاث الأولى، ولكن ليس لدرجة تجعلها غير مفهومة في المشرق العربي."

(1) أرمان-بيار كوسّان دي پرسڤال، المرجع السّابق ص.VII

أمّا في المسار التّعليمي، فإنّه يميل إلى البدء بالعامّيّة، متأثّرًا بما عاشه في رحلته إلى المشرق، إذ اكتشَف أهمّيّة التواصل الواقعي العفوي مع النّاس، باستعمال العامّيّة، ولاحظَ أنّ هذه العامّيّة هي لغة التّواصل التي يستعملها جميع من التقاهم في المناطق التي زارها، بصرف النظر عن اختلاف انتماءاتهم العائلية، والاجتماعيّة، ومستوياتهم العلميّة، والثّقافيّة.

ج- الأديب

أمّا نتاجُه الثّالث فيصبّ في الشّعر والأدب، وهما المنبع الذي ينهلُ منه ما يمدّ محاضراته ودروسه في الفصحى والعامّيّة من معلومات، وقد غدا منذ سنة 1833 المسؤول الأوحد عن تعليمهما في "معهد فرنسة – كولّيج دي فرانس"، ومدرسة اللغات الشّرقيّة الحيّة.

1- الأخطل، الفرزدق وجرير

وأوّل الغيث من النّتاج الأدبي "توطئة عن الأخطل، الفرزدق وجرير"[1]، وفيها يُبرِز دي پرسڤال أثر الشّعر في تاريخ العرب، وبخاصّةٍ في الجاهليّة حيث بلغ الذروة مع المعلّقات، قبل

(1) أرمان-بيار كوسّان دي پرسڤال، *توطئة عن الأخطل، الفرزدق وجرير*، المطبعة الملكيّة، باريس، 1834

https://bit.ly/3CCVxtS

انكفائه مع ظهور الإسلام حيث اتّجهت الأنظار إلى النّبي وخلفائه وانحصر الاهتمام بترسيخ الدين الجديد وتنظيم الدّولة التي ستبسط سلطتها على البلدان الشّاسعة التي ستفتتحها. ويعود الشّعر إلى التألّق من جديد، ومن أُولى حِقَب تألّقه عصر الدّولة الأُمويّة التي اختار منها ثلاثة أَعلامٍ يعرضُ على قرّائه وطّلّابه سِيَرَ حياتهم وميزاتِ قصائدهم. وهو يعدّ الثّلاثة أقرَب الشعراء، بعد ظهور الإسلام، إلى شُعَراء المعلّقات، لذلك وقع اختياره الأوّل عليهم وأهملَ مَن جاء بعدَهُم بدون استثناء.

ولا بدّ من الإشارة إلى تفضيله، في سياق توطئته عن الشعراء الأُمَويّين الثلاثة، فترة الشّعر الجاهلي على غيرها من الحقب الأدبية، إلى حدّ أنّه ينقل عن أحد المؤلّفين، في عهد هارون الرّشيد، وهو أبو عمرو الشّيباني[1]: لو عاش الأخطل "في الجاهليّة، لَكانَ، في نظري، أهمَّ الشّعراء" على الإطلاق.

2- شعراء المعلّقات

ففي نظره، لا شعر يعلو على المعلّقات، ولا حقبة تاريخيّة من تاريخ العرب تستحقّ البحث والتعمّق فيها أكثر من الجاهليّة التي فيها حِيكت سِيَرَ شُعراء معلّقاتها، فكان من الطّبيعي، في

(1) توفّي سنة 213 هجريّة (عن ابن خلّكان: *وَفَيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*).

مرحلة اهتمامه بالأدب والشّعر هذه، في البحث، والنّشر، والتّعليم، أن يقع اختياره الثّاني على شعراء المعلّقات وأخبارهم: فها هو يختار من بينهم عنترة، أو "عنتر"، كما هو مُتَداوَل في الرّوايات الشّعبيّة، ويتتبّع مغامراته وينشر سنة 1833 دراسةً عن عنتر مع مختارات من روايتِه[1]، وهو لا يخفي إعجابه بالشّاعر المغامر، إلى حدّ البوح بصراحة، في دراسةٍ أخرى: "إنني أحبّ عنتر كثيرًا، ولن أتردّد في مدحه"[2]. صحيح أنّه يعي أنّ أسلوب الكتاب لا يمكن مقارنتُه بمستوى روائع المؤلّفين الذين تألّقوا في عصور الأدب العربي الذهبيّة، غير أنّه يلاحظ فيه "رشاقة" النّثر، و"انتظام" الأبيات الشعريّة ومتانتها. أمّا "مغامرات ابن شدّاد" فليست أكثر "عبثيّةً" وتخيّلًا "مبالغًا فيه" من التي "سرَدَها هوميروس في ملحمته."[3]

(1) أرمان- بيار كوسّان دي پرسڤال، "دراسة لرواية عنتر ومختارات منها"، في: *الجريدة الأسيويّة*، آب سنة 1833، ص.ص. 97-121.

https://bit.ly/3ADhZCD

(2) أرمان-بيار كوسّان دي پرسڤال، "دراسة لرسالة السّيّد فرينيل (Fresnel) عن تاريخ العرب قبل الإسلام" في: *الجريدة الآسيويّة*، كانون الأوّل 1836، ص.503

https://bit.ly/3lVCpAs

(3) المرجع السّابق، ص. 504

ويبدو جليًّا أنّ ما كان يهمّه في هذه الجولات الّتي قام بها، ليضــعَ بيــن أيــدي طلّابه مستندات تساعدهم في تحصيلهم الأدبيّ، هو السّــرد التاريخي لحياة الشّعراء ووصف البيئة التي عاشوا فيها.

فبالتزامن مع منشوراته الأدبيّة الدّائرة حول شعراء المعلّقات، بدأت اهتماماته بالبعد التّاريخي الّذي تحمله هذه القصائد مع سِيَر أصحابها تظهر في سلسلة مقالات نشرها حول الحاجة الماسّة إلى تاريخ كامل واف عن حقبة ما قبل الإسلام.

د- المؤرّخ: بحث في تاريخ العرب قبل الإسلام

يُجمع مُتَتَبِّعو سيرة حياةِ دي پرسڤال ودارِسو نتاجِه على اعتبارِ بحثِه في تاريخ العرب قبل الإسلام[1] أهمَّ مؤَلّفاته وأشهرَها على الإطلاق، وقد استغرَقَ تحضيرُه خمس عشرة سنة.

1- الانطلاق

كان دي پرسڤال يعي الصّعوبات التي تعترض الانطلاق في

(1) أرمان-بيار كوسّان دي پرسڤال، *بحث في تاريخ العرب قبل الإسلام، وخلال عصر محمّد، حتّى انضواء القبائل كلّها تحت لواء الشريعة الإسلاميّة*، ثلاثة أجزاء، باريس، 1847-1848
https://gallica.bnf.fr/ark:/12148/bpt6k62702328.texteImage

إنجاز المشروع ومن أهمّها اثنتان عرضهما في دراسته لرسالة فرينيل[1]:

فالعرب أوّلًا لا تاريخ لهم قبل مُحمّد، ولم يكونوا يومًا شعبًا واحدًا موحّدًا، بل مجموعةَ شعوبٍ يتجاهل بعضُهم بعضًا. ولما انبرى المؤرِّخون، بعد ظهور الإسلام، إلى الاهتمام بتاريخهم، اعتبروا أنّ هؤلاء كانوا يعيشون في الجهل وعبادة الأوثان، ولا يستحقّون تاريخًا خاصًّا بهم. غير أنّ دي پرسڤال رأى في هذا الوضع ثغرةً تاريخيّة يجب معالجتها، وازداد إصرارًا على المضيّ في مشروعه.

والعرب ثانيًا لا آثار كتابيّة، قبل القرآن، وصلت إلينا عنهم، باستثناء نقوش اليمن وبعض القصائد القريبة من عصر النّبي. ورأى دي پرسڤال أنّ عدم توافُر تلك الآثار يشكّل عقبةً حقيقيّة، ولكن يجب اللجوء إلى وسائل أخرى تساعد على تخطّيها، نظرًا إلى حاجة الجميع، عربًا ومستشرقين، إلى تاريخ كامل ومفصّل عن العرب قبل الإسلام. فما هي المنهجيّة التي اعتمدَها؟ وما هي المراحل التّاريخيّة الجوهريّة التي رسَمَ معالِمَها؟

(1) أرمان-بيار كوسّان دي پرسڤال، "دراسة لرسالة السّيّد فرينيل..."، المرجع المذكور سابقًا، ص. 504

2- المنهجيّة

بنى المؤرّخ منهجيّته على أسس ثلاثة: الأوّل الكتاب المقدّس، فاستقى منه قصّة إبراهيم وابنه إسماعيل، رأْسِ سلالة العرب الّذين توزّعوا قبائل متعدّدة لا رابط ظاهرًا بينها، غير أنّها تنتمي كلّها إلى أصل واحد. ويقوم الأساس الثاني على تتبّع سلاسل النّسب المنتقلة من جيل إلى جيل، على يد رواتها ومحفوظاتها الشّفهيّة، ومحاولة وصل تلك السّلاسل والأجيال التي تتعقّبها بتاريخ الشّعوب القريبة منها، لتحديد حدود أزمنتها. أمّا الأساس الثّالث فقائم على دور الشّعراء في مسار تلك السّلاسل ومرافقتها على مرّ الأجيال داخل كلّ قبيلة.

3- اللوحة الأولى: القبائل العربية قبل الإسلام

وأدّى تطبيق المنهجيّة إلى لوحةٍ تاريخيّة أُولى، وهي الأطول، إذ تغطّي الجزئين الأوّل والثاني بكاملهما، وفيها يرسم المؤرّخ معالم القبائل الموزّعة جغرافيًّا على بلدان اليمن، ومكّة، والحيرة، وغسّان، ونجد، ويثرب، ويُسلِّط الضوء فيها على ميزة كل قبيلة من القبائل المنتشرة فيها: ففي مكّة إضاءة على الكعبة وعلى النّظام الدّيني عند العرب القدامى، وفي الحيرة تذكير بالعلاقات مع الفرس، وفي بلاد غسّان توقّفٌ عند العلاقات مع الإمبراطورية الرّومانيّة. ومن ثَمّ يتجوّل داخل كلّ قبيلة على

حدة، راسِمًا من خلال وضع سلاسل النّسب فيها، الحدود الزّمنيّة بين الأجيال المتعاقبة، وساردًا أخبار شعراء القبيلة المتداولة بين أبنائها الّتي تضفي على جولة المؤرّخ الساعي إلى الحقيقة التّاريخيّة جوًّا عابقًا بالشّعر والرّوايات والحكايات.

وكان المؤرّخ يَعرِف أنّ في سِيَر الشُعراء والرّوايات والحكايات البطوليّة التي حِيكَت عنهم كنوزًا يُمكِن استثمارُها وشدّ انتباه القارئ إليها، فزيّن المعلومات التّاريخيّة الدّقيقة المحَصّلَة عن طريق تتبّع سلاسل النّسب داخل كلّ قبيلة بسرد سِيَر شعرائها، ورواية حكايات بطولاتهم، ورسم معالم شخصيّاتهم المميّزة.

وهكذا وجد الباحثون والعلماء المتخصّصون المعاصِرون في لوحته الأولى ما كانوا ينتظرونه من نتائج ثابتة ودقيقة على صعيد التسلسل التاريخي المحكَم الذي كان مفقودًا في رسم المسار التاريخي الدقيق والشامل عند العرب في الجاهليّة.

وكذلك أقبلَ عامّة القرّاء من المستويات الاجتماعيّة والثّقافيّة المتفاوِتة على التنعّم بمفاتن الأجواء الّتي رَسَمتها اللوحة. ومَن أعلَمُ مِن دي پرسڤال بتلك الأجواء التي عاشَها ميدانيًّا في رحلته المشرقيّة وفي سهر الليالي طوال سنوات، بين المخطوطات والمؤلّفات والموسوعات، للتعمّق فيها، والتشبّع بها؟ وَمَن أجدَر منه ليرسمَها بريشته الشّعريّة والرّوائيّة؟

وها هو يجعل من الإنسان العربي في حياته وتصرّفاته العاديّة أو غير المألوفة، قلبَ لوحته التّاريخيّة، وهدفُه الجوهريّ من ذلك كشف معالم طبع هذا الإنسان الّذي سيكون الأداة الأساسية في ظهور دين جديد وإمبراطوريّة جديدة سيغيّران وجه العالم على مدى مئات، بل آلاف السّنين.

وها هو يركّز على ما عُرف عن ذلك الإنسان من معالم طبعه الأساسيّة. وما يلفت الانتباه فيها التّباين بين مقوّماتها، فتتنازع العربيَّ ميولٌ متناقضة فيما بينها: يهوى القتال والغزو والغنائم، وفي الوقت عينِه يتفانى في تكريم الضيف، حتّى لو كان من الأعداء، لا يتراجع عن ثأر قرّره، ولكنّه يتخلّى عنه بسبب وعد قطَعَه؛ إنّه قاسٍ ومتسامح، أمين ومخادع، في آنٍ معًا.

غير أنّ بعض المعالم تجاوز هذه التّناقضات وكرَّسَ سماتٍ عامّة التصقت بشخصيّته تناقَلَها العرب وبلَغت الشّعوب الأخرى مصحوبةً بحكايات وروايات تُثبتها، وهي تملأ لوحة دي پرسڤال الأولى، نكتفي، فيما يلي، بمثلين عنها:

- وأوّلها عن الثأر وعُنفِه: فها هو عمرو ، ملك الحيرة، يثأر، لمقتل أخيه مالك، بِبَقْر بطن امرأةٍ حُبلى، زوجة قريبٍ من أقرباء القاتل، وَيعد بحرق مئة رجلٍ حيّ من القبيلة المنبوذة، فقضى على ثمانيةٍ وتسعين منهم حرقًا،

وكان ينقصه ضحيّتان لتنفيذ وعدِه كاملًا. وصودف مرور رجلٍ من تلك النّاحية، فشاهد النار من بعيد، وظنّ أنّ قومًا يقيمون وليمةً، فسارع إلى التوجّه صوب تلك النّاحية، ولما كان ينتمي إلى القبيلة نفسِها، ألقيَ القبض عليه ورُمِيَ حيًّا في النار. أمّا الضّحيّة المئة فكانت امرأة شقراء ظنّ الملك أنّها من غير أصلٍ عربيٍّ، ولما سألها عن ذلك، غضبت واستبسلت في الدفاع عن انتمائها العربي وفي الازدراء بالملك وبالتهجّم عليه، فكان مصيرها الموت حرقًا في النّار[1].

- أما المثل الثّاني فعَن الكرم، وعن بطل أسطورته، حاتم الطّائي[2]، وعن الحكايات التي تناقَلَها العرب عنه، فانتشرت بين القبائل جميعها، حتى وصلت إلى البلدان المجاورة لها والبعيدة عنها، ومنها واحِدة تعود إلى بداية نوادر كرَمِه: فما إن أصبح شابًّا حتّى بدأ يوزّع كلّ ما يمتلكه على من يلتقيه من المعارف وغيرهم، فتدخّل جدّه سعد، وأبعده عن التواصل بالنّاس، وكلّفه بحراسة جِمال القبيلة. فمرّت بالقرب من مكان حراسته قافلة

(1) أرمان-بيار كوسّان دي برسڤال، بحث *في تاريخ العرب...* المرجع السّابق، الجزء الثّاني، ص.ص. 122-124

(2) المرجع السّابق، ص.ص. 608-610

مؤلّفةٌ من ثلاثة شعراء مع خدّامهم الثلاثة، فذبح ثلاثة جمال وأولَم لهم، فنظم الشّعراء أبياتًا مدحوه فيها كما مدحوا قبيلته. فبادر إلى إهدائهم مئة جمل، كي لا يبقى لهم في ذمّته أيّ دين، حتّى لو كان معنويًّا.

غير أنّ مشاهد اللوحة الأولى جميعها تستمدّ زخمَها وحيويّتها من الشّعراء الذين يحتلّون أكبر مساحة فيها، إذ يسترسل دي پرسڤال في تتبّعهم، ورسم لوحات كاملة عن شخصيّتهم، وشِعرهم، وتصرّفاتهم، ومغامراتهم، لاعتقادِه الرّاسخ بأنّ ما يميّز تاريخ العرب قبل الإسلام تمييزًا جوهريًّا هو شعرُهم وشعراؤهم. ولا عجب في أن يخصّص لعنترة[1] وروايته صفحات طويلة، وكان قد استثمر مضمونها في المختارات التي وضعها في خدمة طلّابه ونشرها، قبل الشروع في كتابة تاريخه، نكتفي منها بقصّة تحرير عنترة من وضع العبوديّة: لم يعترف والده في البداية بكفاءاته القتاليّة، فأرسَلَه إلى حراسة القطيع، فهاجمت يومًا جماعة من الفرسان ديار شداد الذي استنجد بابنه صارِخًا: "إلى القتال، يا عنترة!" فأجابه: "العبد لا يُتقِنُ القتال، فجلُّ ما يَعرِفُه هو حلب النّاقة والاهتمام بصغارها" فأَعادَ الأمرَ: "إلى القتال،

(1) أرمان-بيار كوسّان دي پرسڤال، "دراسة لرواية عنتر... المرجع السّابق: ص.ص. 97-121.

فأنت لم تعد عبدًا، أنت حرّ، وأنتَ ولدي." فانقضّ عنترة على المهاجمين وشتّتهم.

4- اللوحة الثانية: ظهور الإسلام

كان من الطبيعي أن تتغيّر المقاييس كلّها في رسم اللوحة الثّانية المخصّصة لظهور الإسلام، فلا شعر، ولا روايات، ولا حكايات، بل أحداث دخلت التّاريخ من بابه العريض، وتَمحوَرت حول الدّين الجديد ونبيّه، وأتباعه، وتحضير خلافته.

وكان من الطبيعي أن يكرّس دي پرسڤال القسم الأكبر من تلك الحقبة، الّتي تغطّي الجزء الثّالث والأخير من البحث، للنبيّ بالذات، فأتت مُقاربتُه لدراسة شخصيّته منسجمَةً مع الخيار المنهجي الهادف إلى سرد الأحداث والوقائع سردًا تاريخيّا حقيقيًّا، كما حملت بعدًا لم يتردّد المؤلّف في البوح حوله بأنّ ما وقع عليه في المخطوطات التي تَعَمَّقَ في دراستها سمح له بالإضاءة على "تفاصيل جديدة تسهم في تفسير شخصيّة هذا الإنسان الخارج عن المألوف."

غير أنّ دي پرسڤال، بموازاة التكلّم عن الشّخصيّة الخارجة عن المألوف، انكبّ على رسم معالم شخصه بوصفه إنسانًا عاديًّا يعيش حياته كباقي النّاس، فأشار إلى شكله الخارجي و"بنيته المتوسّطة، ومقدّم رأسه العريض ولحيته الكثيفة، ويديه

ورجليه الخشنة" وقامته المتينة. أمّا في تصرّفه فكان قليل الكلام، ميّالًا إلى الصمت، حلو المعشر، ناعم المزاج، كما لم يكن بعيدًا عن جوّ المداعبة: إذ "لم يتردّد قي أحد الأيام، بعد استماعه إلى امرأة عجوز جاءت تطلب منه أن يتوسّل لها عند الله حتّى يدخلها إلى الجنّة، في أن يقول لها "إنّ الجنّة ليست من حصّة النساء العجزة[1]". وكان من جهة أخرى بسيطًا في ملبسه وهندامه، متواضعًا ومحبًّا للفقراء، كما كان أبًا عطوفًا وجدًّا حنونًا، ولم يخفِ يومًا حبّه للعطور والنّساء.

أمّا نعتُه بالشّخصيّة الخارجة عن المألوف، فلَه ما يبرّره: فها هو يغدو في مدّة وجيزة النبيّ المنتَظر الّذي آمن برسالته كثيرون، ورسّخ هذا الإيمان في قلوب الّذين تبعوه، فوحّد صفوفهم، وتصرّف كقائد يعرف ما يريد، مستعملًا كافة الوسائل المتاحة لبلوغ أهدافه. ولئن رأى بعضهم في ذلك ميلًا إلى فرض سلطته، باستعمال العنف والقوّة، وباللجوء إلى وسائل لا تليق بنبي، فقد سلّم جميعهم بإيمانه الصلب في الرسالة الإلهية التي أوكِلَت إليه، والتي تهدف إلى إخراج بني قومه من الجاهليّة، وشدّهم إلى الإيمان والانطلاق بقيادته نحو

(1) أرمان-بيار كوسّان دي پرسڤال، *بحث في تاريخ العرب...* ، المرجع المذكور سابقًا، الجزء الثّالث، ص.335

بناء دولة قويّة ستبسط سلطتها على "المشرق التابع للإمبراطورية الرّومانيّة، وعلى بلاد فارس وعلى مصر[1]."

أمّا باقي الجزء الثالث فخصّصَه دي پرسڤال للخليفتين أبي بكر وعمر، ولم يذهب في كتابِه، أبعدَ من هذه الحقبة الجوهريّة المفصليّة التأسيسيّة التي كان النّبي الوجه الأبرز فيها، والتي تَغَيَّر فيها مجرى تاريخ العرب تغيّرًا نهائيًّا، فانتقلوا من حال الضّعف والجهل والتشرذم إلى حال الدّولة القويّة والموحّدة.

هـ- جامع نوادر الموسيقيين:

لم يكن *تاريخ العرب قبل الإسلام*، وهو أهمّ نتاجه على الإطلاق، خاتمة أبحاثه ومنشوراته. فمِن بين آخر الأبحاث التي كان يقوم بها مجموعة *مداخل إلى نوادر عن أهمّ الموسيقيين العرب في القرون الثلاثة الأولى للإسلام*[2]، وهي تسرد أخبار الموسيقيين المعروفين بإتقان الموسيقى وبأخبارهم الطّريفة المسَلِّية، وكانت جاهزةً للنشر، إلّا أنّ انتكاس صحّة دي پرسڤال ووفاته

(1) أرمان-بيار كوسّان دي پرسڤال، *بحث في تاريخ العرب...* ، المرجع السّابق، المقدّمة، ص. XI

(2) أرمان-بيار كوسّان دي پرسڤال، *مداخل إلى نوادر عن أهمّ الموسيقيين العرب في القرون الثلاثة الأولى للإسلام*، المطبعة الوطنيّة، باريس، 1874

حالا دون ذلك. فتولّى نشر المخطوطة الجاهزة خَلَفُه السّيّد ديفريمري[1].

خامسًا: المترجم

يستوقِفُ من يتتبّع مسار دي پرسڤال وجهٌ يلازِمُه في تعليمِه الفصحى والعامّيّة، وفي أبحاثِه المتعددة الميادين والأبعاد، وهو وجه المترجم البارع الّذي يُشعِرُك، في التّنقّل بين اللغتين، تارةً بالعربية وتارةً بالفرنسيّة، وكأنّك تقرأ منشوراته جميعها بلغةٍ واحدة. ولا بدّ، في مجال الكلام على التّرجمة، من التذكير بأنّ دي پرسڤال لم يُترجم من العربيّة فحسب، بل أيضًا من اللغة التركيّة التي كان متخصّصًا وبارَعًا فيها، كما في العربيّة، وقد نشر ترجمتين منها.

المحصّلة

يظهر من عرض هذا الباب أنّ همّ التّاريخ كان المحرّك الأول لمسار دي پرسڤال في التّعليم، والبحث المعجميّ، والنّحويّ، والأدبيّ. فلا عجب في أن يكون البعد التّاريخي حاضرًا في أبحاثه ومنشوراته جميعها، ولا عجب في ان يكونَ بحثُه في *تاريخ العرب قبل الإسلام* على رأس لائحة نتاجه كمًّا

(1) Defrémery

ونوعًا وتأثيرًا وشهرةً. وشاء القدر أن يكون نتاجه الرّائع هذا خاتمة سلسلة أبحاثة المنشورة، وهو لا يزال على قيد الحياة.

النهاية

لم ينقطع دي پرسڤال، بعد إتمام تاريخ *العرب قبل الإسلام* عن نشاطاته المعهودة في التعليم والبحث، غير أنّ صحّته ساءت ابتداء من سنة 1855، وتوالت عليه الآلام، في قدميه أوّلًا، فأصبح متعثّرًا في مشيته، ثمّ في عينيه فحُرم من النّظر في إحداهما، وتكرّرت سقطاته بسبب ضعف قدميه، فأُجبر على التخلي عن كرسيّه في "معهد فرنسة – كولّيج دي فرانس" سنة 1859، واحتفظ بدروس اللغة الدّارجة في معهد اللغات الشّرقيّة الحيّة، إلى أن أصبح بعد سنوات طريح الفراش، يزوره أصدقاؤه باستمرار، وتعتني به زوجة أبيه الخامسة، إذ بقي أعزبَ طوال حياته، وتوفي سنة 1871 عن عمر 76 سنة، تمامًا في عمر والده عند وفاته.

الباب الثّاني: نتاجه في الغربال

التّمهيد

ينتمي دي پرسڤال إلى مجموعة محدودة من المستشرقين الذين أجمع قرّاؤهم وزملاؤهم ونقّادهم على اعتبار نتاجهم كاملًا في مضمونه وشكلِه، لا تشوبه شائبة، ولا يعتريه ضعف أو خلل، وهو يحمل جديدًا في مجالي التعليم والبحث، ويحترم المقاييس العلميّة الصّارمة، وقد بنوا ترحيبهم وإعجابهم به على تذوّقهم الشخصيّ له وعلى براهين وحجج منطقيّة مقنعة يسمح بها مستواه العالي.

أوّلًا: حول المعجم

أحدثت إطلالة دي پرسڤال الأولى على عالم التعليم والبحث والنّشر ردة فعل إيجابيّة لدى الطلّاب أوّلًا، لأنّ المعجم الّذي وُضِع لخدمتهم شكّل وسيلةً فريدةً بمضمونها وشكلها لمتابعة مسيرتهم في تعلّم العربيّة، ولدى المعجميين ثانيًا، لأنّ المعجم المنشور يحترم المقاييس المعجمية احترامًا صارمًا، ولدى المسؤولين عن المؤسسات المعنيّة بتعليم العربيّة، الّذين رأوا في متابعة عملٍ بدأه سلفُه وفي تصحيحه وتوسيع مادّته دليل تواضع والتزام منً لدن المؤلّف، واستنتجوا أنّهم يستطيعون الاتكال عليه[1].

(1) هنري والُّون، المرجع المذكور سابقًا، ص. 218

ثانيًا: حول كتاب النّحو

ولم يكن وقع الإطلالة الثّانية مع كتاب النحو أقلّ إيجابيّةً: وقد حظي الكتاب الجديد بدراسة عنه كتَبَها المستشرق الشّهير دي ساسي، المتتبّع لكل بحث يتناول علاقة الفصحى بالعامّيّات، ولكلّ وسيلة تعلميّة فريدة تسهّل على الطلاب عمليّة اكتسابهم اللّغــة العربيّة، فصحـى كانت أم عامّيّة. والمفارقة في دراسته أنّ كاتبه، وإن لم يشاطر دي پرسڤال رأيه في علاقة الفصحى بالعامّيّات، إلّا أنّه استرسل في إظهار إيجابيات الكتاب، فرأى أنّ الكتاب يدلّ على "معرفة معمّقة بالعربيّة، بفصحاها وعامّيّتها، وعلى أفكار صائبةٍ حول القواعد العامّة، وعلى تعبير واضح في الصياغة، وعلى عرض جيد للقواعد مدعوم بالأمثلة"[1] وركّز بعض الكتّاب العرب كذلك على طريقة دي پرسڤال الرّائدة في تعليم النّحو[2].

---

(1) سيلفستر دي ساسي: "قواعد العربيّة العامّيّة، من تأليف أرمان-بيار كوسّان دي پرسڤال" في: *جريدة العلماء*، نيسان، 1825، ص.249
https://bit.ly/3CDOst1

(2) راجع: د. محمود العقّاد، *تاريخ الدّراسات العربيّة في فرنسة*، عالم المعرفة، كانون الثّاني، 1978

ثالثًا: حول الأخطل والفرزدق وجرير

ولاقى التاج الثالث تحت عنوان *الأخطل وفرزدق وجرير*، في إطار سلسلة من المختارات الأدبيّة الّتي وضعها دي پرسڤال ليؤمّن مستندات تسهّل على القارئ بعامة وعلى طالب الأدب بخاصّة دراسة الشعر في العصر الأموي، ارتياحًا لدى القرّاء والطّلّاب والنّقاد، متأتّيًا من "جوٍّ فريد"[1] غير مسبوق سهّل بروز شعراء مبدعين متحرّرين من القيود كافّة لم يتردد الخلفاء في استقبالهم وتكريمهم والتقرّب منهم.

رابعًا: حول تاريخ العرب قبل الإسلام

أمّا الترحيب الأكبر لدى القرّاء والطّلّاب والمثقّفين والمتخصّصين والنّقّاد فكان *لتاريخ العرب قبل الإسلام*، نتاج دي پرسڤال الأبرز، فأجمعوا على اعتبار الكتاب كنزًا يُضاف إلى مكتبة المستشرقين والعرب التّاريخيّة، فيغدو مرجعًا يعود إليه كل من رغب في اكتشاف تلك الحقبة من تاريخ الإسلام وكلّ باحثٍ اختارها، كلّها أو جزءًا منها، موضوعًا لما ينوي القيام به من دراسات، سواء أكان ذلك على صعيد معاصريه المستشرقين ومن أتى بعدَهم، أو على صعيد الباحثين والمؤرّخين العرب[2]

(1) هنري والُّون، المرجع المذكور سابقًا، ص. 223

(2) راجع: الأب لويس شيخو اليسوعي، *الآداب العربيّة في القرن التاسع عشر*، الجزء الثّاني، المطبعة الكاثوليكيّة، بيروت، 1924، ص.ص. 58-59

الذين أشاروا إلى كتاب دي پرسڤال على مرّ العصور، وشدّدوا جميعهم على سرّ نجاح هذه الرّائعة التّاريخيّة الذي يعود إلى التزام المؤلّف الكامل بمشروعه، طيلة خمس عشرة سنةً، سهر فيها الليالي بين المخطوطات والمراجع، مستثمرًا طاقاته جميعها، ومعتمِدًا على "صواب آرائه"[1] واختياراته.

خامسًا: حول نوادر الموسيقيّين

ولم يشذّ آخر عمل أنجزه دي پرسڤال حول *نوادر عن أهمّ الموسيقيين العرب في القرون الثلاثة الأولى للإسلام*، ولم يتمكّن من نشرِه قبل وفاته، عن سائر مؤلّفاته، فلاقى التّرحيب نفسَه، ولعلّ شهادةَ خلَفِه في كرسيّ العربيّة في "معهد فرنسة – كولّيج دي فرانس"، الوارِدَة في تقديم الكتاب الّذي عُنِيَ بنشرِه بعد وفاة مؤلّفه، خيرُ دليل، لا على أسباب التّرحيب في الكتاب المنشور فحسب بل في كامل نتاجِه، وملخّصها: "معرفة متعمّقة في لغة العرب وتاريخهم خصوصًا في الفترة التي سبقت الإسلام وأول القرون الهجرية، ووضوح في العرض، وأسلوبٌ بسيط يخلو من التكلّف لكنه مناسب للموضوع المعالج. ونجد هذه الميزات التي يشتهر بها كاتب "تاريخ العرب قبل محمد" المثقف والجاد في القطعة التالية أيضًا، فهي تضاهي كتاباته السابقة جودة."

(1) هنري والُّون، المرجع المذكور سابقًا، ص. 240

المحصّلة

ويظهر من عرض مراحل مسار دي پرسڤال أنّ ما يربط بينها خيطٌ رفيع حاكته فترة دراسته في باريس، وجولته الميدانيّة في بلاد العرب، واختباره الميداني في التعليم، وسهر الليالي في البحث والتّنظير، وهو تفضيله المقاربة التّاريخية على ما عداها، وقد طبّقها في مجالات اللغة والأدب والشّعر بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، واعتمد عليها اعتمادًا كاملًا في *تاريخ العرب قبل الإسلام*، وهو أهمّ عمل أنجزه في حياته.

الخاتمة: النتاج مرآة صاحبِه

لم يُذكَر اسم أرمان-بيار دي پرسڤال في عرض أو نقد أو مدح يتناول أعماله ومؤلّفاته ومنشوراته إلا مقرونًا بإشارة إلى معالم الباحث المميّزة بالكفاءة والجدّية والصّرامة من جهة، وبالخلق العالي والتواضع والكرم وخدمة الآخرين من جهة ثانية، فلم يخطئ طلاّبه وزملاؤه الأقربون والمتخصصون الغرباء الذين قصدوه لسؤال او نصيحة أو رأي، لما أشادوا بسعة معرفته وتعدّد طاقاته، وبرحابة صدره وحسن ضيافته وحلاوة معشره، ورأوا في نتاجه مرآة لشخصيّة صاحبه.

مختارات من نتاج أرمان - بيار دي پرسڤال

من: الياس بُقْطُر، *معجَم فرنسي – عربي*، أعاد النّظر فيه وأكملَه أ.ب. كوسّان دي پرسڤال، فيرمان – ديدو (Firmin-Didot)، باريس، 1828–1829

" كُلِّفتُ، بصفتي خلفًا للسيد "إلياس بُقْطُر" في منصب أستاذ اللغة العربية العامية في المدرسة الملكية للغات الشرقية، بمراجعة المعجم وبتصحيح أخطاء بسيطة كان الكاتب سيتكفل بها، لو تسنى له وضع اللمسات الأخيرة على عمله بمراقبة طباعته. وكان السيد "كليرمون- تونير" قد طلب إدخال بعض الإضافات التي وجدها ضرورية على المعجم، حتى يصبح شاملًا ومفيدًا لأقصى درجة ممكنة، ولذلك، وحتى يصبح المعجم كما أراد، أضفتُ إليه موادّ عديدة جمعتُها أثناء إقامتي في سورية، كما أضفت كل ما وجدت ضروريًا استخراجه من القاموسين الإسباني- العربي والإيطالي- العربي للأب "كانييس" والأب "دومينيكو جرمانو دي سيليزيا".

وبما أن هذا الكتاب موجه تحديدًا إلى الأشخاص المضطرين إلى تعلم اللغة العربية كتابةً ومحادثةً، أي إلى المسافرين وخصوصًا المترجمين الشفهيين، فقد تفاديت والسيد "إلياس" (وأتكلم بصيغة الجمع لأنني شاركت في إتمام نصف هذا

القاموس تقريبًا) إدخال كلمات ذات سجل علمي وشاعري حصرًا، وحرصنا على أن نضع فيه الكلمات الدارج استعمالها كتابة ومحادثة. كما أدخلتُ في المعجم تعابير المحادثات الدارجة وحتى الكلمات متدنية المستوى والعامّيّة، وأدخلت فيه أيضًا، وبالدّرجة نفسها، التعابير المصقولة التي يستعملها العرب في عصرنا الحالي في كتاباتهم الرصينة والمشغولة. أما الكلمات الفرنسية التي لا مقابل لها في اللغة العربية فقد تُرجمت بتعابير مركّبة حتى يستطيع العرب الراغبون في تعلم لغتنا استخدام هذا المعجم أيضًا." (ص. VI)

من: أرمان-بيار كوسّان دي پرسڤال، قواعد *اللغة العربيّة الدّارجة في عامّيّات المشرق وبلاد البربر*، المكتبة الشّرقية للسيّدة دونداي-ديبري (Dondey-Dupré)، باريس، 1843

من المقدّمة

"وقد وضعتُ للكتاب هدفًا، فهو يرمي من جهة إلى تسهيل تواصل المسافرين والتجار وموظّفي دولتنا في الشرق الأدنى والمغرب العربي شفهيًا وخطيًا مع العرب، ويسعى من جهة أخرى، وعلى قدر ما يتسنى لكتاب فِعْلُه، إلى تقصير المدة الطويلة التي يحتاجها المسافرُ إلى تلك المناطق، لاكتساب

اللغة، حتى لو قضى وقتًا في أوروبا لتعلّم اللغة على مستواها العلميّ الرفيع.

ويقوم الفرق بين العربية الفصحى والعامية على اختلافين ملحوظين علمًا أن للاثنين أساسًا واحدًا. أما الاختلاف الأول فمردُّه إلى أنّ عرب العصر الحديث قد اعتمدوا كلمات جديدة مقترضة من اللغة التركية على وجه الخصوص، وأهملوا طيّ النسيان مصطلحات قديمة، وغيّروا المعنى الأصلي في مصطلحات أخرى. والثاني يعود إلى أنهم، في كلامهم اليومي، يغفلون كل القواعد التي سنّها واضعو قواعد لغتهم، فهم يسقطون التشكيل في آخر الكلمة، بينما يظهر في الأسماء وصيغ الأفعال في اللغة الفصحى، وقد كرّس الاستخدام هذه المخالفة ومخالفات أخرى من القبيل نفسه، فأصبحت نافذة حكمًا وتحوّلت إلى قواعد جديدة يتّبعها المتعلمون بمحادثاتهم، شأنُهم في ذلك شأنُ عامة الناس.

ويتماهى الخطاب المكتوب والمصقول للعرب الحاليين مع لغة أهل العلوم في عدة نقاط، فهو قريب منها، خصوصًا من جهة اتّباع القواعد واختيار التعابير، وإن تفاوت هذا التقارب بحسب معرفة الكاتب القوية أو الضعيفة بآداب لغته. وهذا ما نلاحظه في الأغاني والحكايات والرسائل والخطابات

الدبلوماسية. وغالبًا ما يخلط أسلوب هذه الكتابات هذين اللسانين فيحتلُّ حيّزاً وسطًا بينهما. أسلوب المحادثات وحده يختلف عن الفصحى، فثَمَّة حدود مرسومة وواضحة سعيتُ لرسمها في هذا الكتاب وأشرتُ في الوقت نفسه إلى أي درجة يمكنُنا، ونحن نكتب خطابًا وديًّا، استخدام صيغ لغوية أكثر انضباطًا من دون أن نقع في فخّ التصنّع والتكلّف والادّعاء.

ولأن اللغة العربية تنتشر على مساحة جغرافية واسعة، فهي تعاني بالضرورة من اختلاف اللهجات، ولكنه اختلاف يكاد ألّا يكون ملحوظًا في اللغة المكتوبة التي يمكننا اعتبارها واحدة في كل مكان. أما اللهجات المحكية الأساسية فهي لهجات شبه الجزيرة العربية وسوريا ومصر والمغرب العربي. ولا نجد فوارق نحوية بين اللهجات الثلاث الأولى، بل نصادف تعابير وصِيَغًا شائعة في منطقة وغير مستعملة في منطقة أخرى، وإن يسهلْ فهمُها فيها، ليشكل هذا الأمر الفرق الدقيق الذي يميز لهجة عن أخرى. أما لهجة المغرب العربي فتختلف اختلافًا ملموسًا عن اللهجات الثلاث الأولى، ولكن ليس لدرجة تجعلها غير مفهومة في المشرق العربي. أما ملاحظاتي عن لهجات المشرق فهي ثمرة إقامة طويلة في مناطق سوريا المختلفة، وقد كتبتها لما كنت في تلك البلاد ودقَّقَ فيها بضعة أشخاص من العرب.

ويشكّل اللفظ موضوعًا بالغ الأهمية عند دراسة اللغة المحكية ولا يمكن تعلُّمه في الكتب. ونصادف في اللغة العربية أصواتًا ملفوظة بملء النَّفَس، وأُخرى مفخّمَةً، وأخرى حلْقيَّةً، لا يمكن أن ننقلها بواسطة أي حرف من أحرف أبجديّتنا، وقد نقلتها بحروف فرنسيّة من أجل تسهيل قراءة الكلمات العربية الواردة في كتابي على الطّلّاب المبتدئين، لكنني لا أزعم أنني وصلت إلى الدقة المنشودة، إذ لا يمكن اللفظ بشكل صحيح إلا بالإصغاء المتكرر." (ص.ص. X-VI)

من النّصوص المختارة

"قصة ابن المغازي

حُكي أنه في بغداد رجل اسمه ابن المغازي يتكلم على الطرق بأخبار ونوادر متنوعة وكان نهاية في الحذق لا يستطيع من يسمعه ألا يضحك، قال: وقفت يومًا على باب دار الخلافة أُضحك الناس وأتنادر فحضر خلفي بعض خدم المعتضد فأخذت في نوادر الخدم فأعجبه فانصرف ثم عاد فأخذني بيك وقال دخلت فوقفت بين يديّ سيدي فتذكرتك وحكاياتك فضحكت فأنكر عليّ وقال ويلك! ما لك؟ قلت: على الباب رجل اسمه ابن المغازي يتكلم بحكايات ونوادر يضحك الحجر فأمر بإحضارك ولي نصف جايزتك فطمعت في الجايزة

وقلت يا سيدي أنا مسكين وعليّ عيلة فلو أخذت سدسها أو ربعها فأبى وأدخلني فسلّمت فردّ على السلام وهو ينظر في كتاب فنظر في أكثره وأنا واقف ثم أطبقه ورفع رأسه إلي وقال أنت ابن المغازي قلت نعم يا أمير المؤمنين قال بلغني انك تحكي وتضحك بنوادر عجيبة فقلت يا أمير المؤمنين الحاجة تفتق الحيلة اجمع الناس بحكايات أتقرب بها على قلوبهم فالتمس إحسانهم فقال هات ما عندك فإن أضحكتني أعطيتك ألفي درهم وإن لم أضحك فما لي عليك فقلت ما معي إلا قفاي فافعل ما أردت قال أنصفت إن لم تضحكني أصفعك في هذا الجراب عشر صفعات فقلت في نفسي ملك لا يصفع إلا بشيء خفيف ليّن والتفتّ وإذا الجراب من اديم معلّق في زاوية البيت فقلت ما أخطى ظني عسى فيه ريح فإن أضحكته ربحت وإلا فعشر صفعات بجراب منفوخ شي هيّن ثم أخذت في النوادر والحكايات فما خلّيت حكاية اعرابي ولا نحوي ولا قاضي ولا نبطي ولا زنجي ولا شاطر ولا تركي إلا وأحضرتها حتى نفد ما عندي وتصدع رأسي وفترت وبردت ولا يبقى وراي ولا خادم ولا غلام إلا وماتوا من الضحك وهو مقطّب لا يبتسم فقلت قد نفد ما عندي فوالله ما رأيت مثلك قط فقال هذا ما عندك قلت بقى نادرة واحدة قلت أوعدتني أن تجعل جايزتي عشرًا صفعات فأسالك ان تصفعها لي وتضيف عليها عشر

أخرى فأراد أن يضحك فأمسك وقال نفعل ومديت قفاي فصفعني بالجراب صفعة واحدة فكأنما سقطت على قفاي قلعة وإذا الجراب مملو من حصى فصفعني عشرة وكادت رقبتي أن تنفصل وطنّت آذاني وقدح الشعاع من عيوني فصحت يا سيدي نصيحة فرفع الصفع بعد ان عزم على العشرين وقال ما هي نصيحتك فقلت أنه ليس في الديانة أحسن من الأمانة ولا أقبح من الخيانة وقد ضمنت للخادم الذي أحضرني نصف الجايزة قليلة أو كثيرة وأمير المؤمنين من كرمه وفضله قد أضعفها واستوفيت أنا نصفي وبقي نصفه فضحك حتى استلقى فما زال يضرب بيديه ويبحث برجليه ويمسك بطنه حتى سكن ثم قال عليّ به فأمر بصفعه فقال وايش جنايتي فقلت له هذه جنايتي أنا وأنت شريكي وقد استوفيت بنصيبي فبقى نصيبك فلما أخذوا في صفعه أقبلت ألومه وأقول له قلت لك مسكين معيل وشكوت إليك الحاجة والفقر وكنت أقول لك سدسها أو ربعها وأنت تقول لا آخذ إلا النصف ولو علمت أن أمير المؤمنين جايزته صفع وهبتها لك كلها فعاد إلى الضحك من قولي للخادم ولما استوفى نصيبه أخرج صرّة فيها ألفين درهم فقسمها بيننا فانصرفت". (ص.ص. 2-5)

أرمان-بيار كوسّان دي پرسڤال، *توطئة عن الأخطل، الفرزدق وجرير*، المطبعة الملكيّة، باريس، 1834

https://bit.ly/3CCVxtS

"سبق الشعر عند الشعوب كافةً الأنواع الأدبية الأخرى، وقد أينع عند العرب منذ زمن عبدوا فيه الأوثان وكانوا أبعد ما يكون عن التمدّن، وبالكاد يفكّون الحرف. وأنجبَ ذلك الزمنُ البدائي الذي يسمّيه المسلمون عصر الجهل أو الجاهلية قصائد لم يُعلَ عليها أو حتى يضاهيها ما نُظِمَ في قرون الخلافة التي ازدهر فيها الأدب، وهذا رأي عدد كبير من المتنورين، حتى أن عالماً[1] عاصر هارون الرشيد قال عن الأخطل "لو أدرك الأخطل يومًا واحدًا من الجاهلية ما فضّلت عليه أحدًا." ولا يقصد من هذه الجملة أن الفوضى التي عاشها المجتمع العربي قبل الإسلام مُلهِمةٌ أكثر من الحضارة التي أسسها النبي محمد، ولكنها اعتراف بأن الذوق قد بدأ يفسد بُعيد وضع أسس القانون الإسلامي.

وفي أوّل قرنين من الحكم الإسلامي؛ أي: أثناء الحكم الأموي، ذاع صيت ثلاثة شعراء معاصرين ومتنافسين هم

(1) أبو عمرو الشيباني المتوفى في عام 213 للهجرة نقلًا عن ابن خلكان.

الأخطل وجرير والفرزدق. ويعتبرهم العرب الأكثر قربًا من الشعراء القدماء، ويتفق على هذا الرأي الجميع، ويؤكد عليه أفضل النقاد، لكنهم لا يجمعون على مَن مِن هؤلاء الرجال الألمعيين هو الأفضل، فلكلٍّ منهم معجبون به ومتعصبون فيربِّعونه على القمة، ولا يعود لي التقرير في مسألة التفوق هذه، إذ ليست لدينا مادة كافية للإفتاء في هذه القضية، فلم يصلنا مما نظمه هؤلاء الشعراء المشاد بهم إلا مقتطفات قليلة ولذلك لن أنقل إليكم قصائدهم بقدر ما سأُطلِعُكم على سيرهم الذاتية". (ص.ص. 3-5)

أرمان-بيار كوسّان دي پرسڤال، *بحث في تاريخ العرب قبل الإسلام، وخلال عصر محمّد، حتّى انضواء القبائل كلّها تحت لواء الشريعة الإسلاميّة*، ثلاثة أجزاء، باريس، 1847-1848

https://gallica.bnf.fr/ark:/12148/bpt6k62702328.texteImage

"لقد آليت على نفسي في هذا الكتاب أن أجمع كل الوثائق وأناقشها وأنسقها، وهي الوثائق التي زودنا بها الكتاب الشرقيون حول العرب منذ نشأتهم حتى صعود نجم دولتهم.

لطالما عاش العرب مقسمين إلى شراذم، وكانت كل مجموعةٍ منهم في دولة أو دويلة مختلفة عن الأخرى، أو كانوا مجرد مجموعات تناصب بعضها بعضًا العداء، فجمعهم النبي محمد واستكملَ عمر ابن الخطاب توحيدهم أثناء حكمه.

هذا باختصار الموضوع الذي حاولت معالجتَه، وهو يتضمن حقبتين من الزمن غير متساويتين في طولهما، وتشمل الأولى قرون ما قبل الإسلام، ويطلق عليها العرب اسم الجاهلية، وهو زمن الوثنية والجهل، أما الثانية فتقتصر على سنوات قليلة، لكنَّ بريقَها سطع بفضل ثورة سياسية ودينية كبرى تجلت بترسيخ الإسلام وتأسيس امبراطورية الخلفاء التي سيسمو مجدُها عاليًا.

ولم تعرف شبه الجزيرة العربية التدوين في السجلات إلا في فترة متأخرة من حقبة الحضارة الإسلامية. فباستثناء بعض نقوش قديمة عُثِرَ عليها في اليمن، والتي نجهل معناها، ومقاطع من قصائد صدرت في زمن قريب من ولادة النبي محمد، فليس للعرب من أثر مكتوب إلا القرآن.

استطاع العرب الحفاظ على التراث، غير واضح المنشأ، والغامض والمنقول شفهيًا إلى ما بعد الجاهلية ولم يجمعوه في كتب إلا بعد صدر الإسلام؛ ناهيك عن أنه لم يصل إلينا كاملًا،

بل كمقتطفات مبعثرة نقلها إلينا كتّاب من حقبات لاحقة.

وستؤدي لوائح الأنساب التي أضفتُها إلى هذا الكتاب، والتي ذكرتُ فيها السنة التي يُفترض أن الشخصيات الرئيسة وأسلافَهم ولدوا فيها، دور وثائق داعمة لتسلسل هذا التاريخ زمنيًا.

سبق وقلت إن الأنساب العربية ليست دقيقة، وبالفعل نجد ثغرات في عدد كبير منها، ولكن من جهة أخرى نجد عددًا لا يستهان به منها يعود إلى القرن السادس قبل ولادة النبي محمد، وهو صحيح ودقيق ولا تشوبه شائبة. وهذه ظاهرة غريبة بحق، فنادرًا ما نجد، لدى شعب غير مثقف وبعيد كل البعد عن الكتابة، وهذه هي حال العرب في تلك الحقبة، دقّة لا متناهية في ذكر الأسلاف، ويعود ذلك إلى شعور الفخر والحظوة الذي يستمدونه من هذا النسب الرفيع. إن أسماء الأجداد محفورة في أذهان الأطفال وقد أدى هذا الأمر دور إرشيف خاص بالعائلات. ويرفق بهذه الأسماء معلومات عن حياة هؤلاء الأشخاص والأحداث التي شاركوا فيها وبهذه الطريقة استمر التراث من جيل لآخر.

يشكل تاريخ الجاهلية مقدمة وتوطئة لحياة محمد والخلفاء الذين تلوه، فلا يمكن فهم الثورة التي حققها الإسلام

في شبه الجزيرة العربية بشكل صحيح، إذا كنا جاهلين نقطة البداية. وبفضل مخطوطات المكتبة الملكية، استطعت أن أضيف تفاصيل جديدة عن محمد والحقبة التي عاش فيها والسنوات الأولى التي بشّر فيها بدعوته، وهي ستسهم في فهم هذا الرجل الاستثنائي. لقد ولد في عصر عبادة الأوثان، في فترة بدأ التشكيك بهذه العبادات يزداد، وشرع بعضهم يبحث عن ديانة أفضل وأنقى، حتى أصبحت فكرة ولادة نبي جديد قناعة سائدة لدى عدد من الناس. وربما أنّ مخيلة محمد التي اتقدت بفعل التأمل والعزلة، هي التي جعلته يقتنع بأنه النبي المنتظر. وبرأيي كان من الضروري أن يوقن بذلك حتى يتحمل على فترة تزيد عن اثنتي عشرة سنة التوبيخ والشتائم والاضطهاد الذي تعرض له من أهل منطقته من دون أن يتزعزع إيمانه بنبوته. ولا بد من أن اقتناعًا ترسخ لديه بأنه اختير للقيام بمهمة سماوية، وإلا لما استطاع نقله إلى أشخاص نافذين مثل أبي بكر وعمر. ولا حاجة لاستغراب الطرق الحذقة والعنيفة التي استعملها لاحقًا فالغاية تبرر الوسيلة في نظر من يظن أنه كلف بمهمة سماوية. ومن الظلم اعتبار محمد دجالًا محظوظًا، أو داهية طموحًا فهو في الأساس رجل مؤمن بأنه مختار لإخراج شعبه من الضلال ولجعله يولد من جديد.

هذا هو الانطباع الذي خرجت به من دراسة حياة مؤسس الإسلام وكان خليفتاه أبو بكر وخصوصًا عمر على قدر المسؤولية، وشكّل حكمهما أزهى أزمنة الشعب العربي.

فبعد أن عاش العرب لقرون وقرون خارج التاريخ بسبب عدم وجود حضارة لديهم، وإن امتلكوا كل الميزات الذهنية لإنشاء واحدة جديدة، وبعد أن عاشوا ضعفاء بسبب تفرقهم، وإن امتلكوا روحًا قتالية متميزة، ها هم يتّحدون تحت راية الإسلام فيتحوّلون بلمح البصر إلى دولة مستعمِرة تمتد على بقع شاسعة تفرض دينًا ومؤسسات جديدة.

لقد قدم لهم محمد حافزًا كبيرًا اندفعوا خلفه، وكانوا لا يتبارون إلا على نشر الدعوة ولم يفقدوا شيئًا من بساطة عاداتهم البدائية فاستطاعوا أن يخضعوا في سنوات معدودة كل الشرق الروماني ومصر وفارس وساد في هذه البلاد حكم القرآن.

ولعل الحماسة العالية التي اشتعلت فيهم في تلك الحقبة، وتقشفهم المميّز، ينطويان على رفعة أكبر من عظمة الخلافة في حقبتي العباسيين والأمويين.

ولا بد من الاعتراف في النهاية بأن القارئ لن يصادف في هذا الكتاب تأملات كثيرة، وآراء عامة مما يطلق عليها اسمُ فلسفة التاريخ. ولكن، في حال وجدتم تصميمًا متينًا، وتسلسل

أحداث منهجيًا، وبحثًا صادقًا وأمينًا عن الحقيقة، وسردًا واضحًا ووفيًا، أكون قد حققت طموحي". (ص.ص. V-XII)

أرمان-بيار كوسّان دي پرسڤال، "دراسة لرواية عنتر ومختارات منها"، في: *الجريدة الأسيوية*، آب سنة 1833، ص.ص. 97-121.

https://bit.ly/3ADhZCD

"وفي سورية على وجه الخصوص، يضاهي صيت الرواية التاريخية النثرية والممزوجة بأبيات شعرية، والمعنونة بسيرة عنترة، كتابَ ألف ليلة وليلة، وهي حكايات عبقرية أصبحت شبه مشهورة في أوروبا. لكن سيرة عنترة تحتل مرتبة أدبية أعلى، ونجد فيها رسمًا دقيقًا لحياة العرب في البادية، فهم لم تتغير أخلاقهم وعاداتهم رغم مرور الزمن: فحسن ضيافتهم وجنوحهم للانتقام وقصص حبهم وكرمهم واندفاعهم نحو قطع الطرق وفطرتهم الشعرية موصوفة في السّيرة بدقة وأمانة. والسيرة هذه نصوص ملحمية نوعًا ما، تصف حروب العرب القديمة وأهم الأحداث قبل ولادة محمد ومآثر بطلهم القديم. والكتاب متميز بفضل أسلوبه الأنيق والمتنوع الذي يصل

أحيانًا لدرجة الروعة، وشخصياته القوية الملامح التي تتطور بفنّ، فنكاد نصفه بإلياذة العرب.

إن أهمية رواية عنترة التاريخية ومزاياها تجعلها جديرةً بأن تذكر بشكل مشرف في "الجريدة الآسيويّة"، وخصوصًا في هذا الوقت الذي نقدم فيه نسخة منها مؤلفة من عشرة مجلدات، مطبوعة على صفحات صغيرة ومكتوبة بخط جميل ومتجانس، إلى محبي هذا النوع من الكتب من المنتسبين إلى المكتبة الملكية. ولن أقوم بتحليل الكتاب ولو بشكل موجز، فهذا يتطلب مجلدًا يضاف إلى المجلدات العشرة، وسأكتفي بالقول إنه تطغى عليه فكرة مزدوجة، دينية وفلسفية في آن، فقد قُدم عنترة كأنه مكلف من العناية الإلهية بمهمة سحق الفخر الوحشي للمقاتلين العرب وتمهيد الطريق للنبي محمد. فهو ابن أَمَةٍ سوداء، يرعى القطيع، ولكن الخدمات الجليلة التي قدمها لقبيلة بني عبس ومشاعر الإعجاب التي حظي بها بفضل خصائله وقريحته الشعرية البديعة جعلته ينتصر على الأفكار المسبقة التي حكمت عليه بالعبودية، فأصبح من كبار القوم. وبرغم العوائق التي وضعها في طريقه الآلاف ممن غاروا من إنجازاته، استطاع أن يتزوج عبلة، وهي فتاة من الأشراف أحبها منذ عهد بعيد." (ص.ص. 98-108)

أرمان-بيار كوسّان دي پرسڤال، *مداخل إلى نوادر عن أهمّ الموسيقّيين العرب في القرون الثلاثة الأولى للإسلام*، المطبعة الوطنيّة، باريس، 1874

"طُوَيس

طويس أي صغير الطاووس لقب مغن شهير من المدينة من أسرة مخزوم القريشية، أما اسمه الحقيقي فعيسى بن عبد الله. وقد أبصر النور يوم وفاة النبي محمد (في 8 حزيران 632 ميلادي) وفُطِمَ يوم وفاة أبي بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين، وطُهِّر يوم اغتيال ثاني الخلفاء عمر بن الخطاب وتزوج يوم مقتل عثمان بن عفان، ثالث الخلفاء، وأبصر ابنه النور يوم مقتل علي بن أبي طالب رابع الخلفاء.

إن هذا القدر السيِّئ الذي ارتبط بمختلف ظروف حياته، وهو قدر لم ينفك يستمتع استمتاعًا خبيثًا بذكره، هو ما دعا العرب يطلقون مَثَل "*أشأم من طويس*".

وقد أسر العرب جماعة من الفرس في أول حروبهم في العراق، وجلبوهم إلى المدينة ليقوموا بأعمال شاقة، وكانوا يأخذون يومي راحة في الشهر، فيروحون بالغناء عن أنفسهم. وكان طويس في تلك الحقبة يافعًا، فخالطهم وتعلم الغناء منهم وحفظ أنماط أغانيهم وألحانها وحاكاها لاحقًا في الأغاني التي ألَّفها.

وبدأ صيته يذيع في سنوات حكم عثمان الأخيرة، ولم يكن يعزف على أي آلة موسيقية باستثناء الدف. وكان يستخدم واحدًا صغيرًا مربع الشكل ويضعه عادة في صدره. ويقال إن طويس هو أول *من غنى الغناء الرقيق* منذ صدر الإسلام *وهو أوّل من تغنّى بالمدينة غناء يدخل في الإيقاع*." (ص.ص. 3-4)

إبراهيم الموصلي

"ينحدر هذا الفنان الشهير من عائلة فارسية نبيلة جاءت من أرجان واستقرت في الكوفة وقد ولد فيها سنة 125 للهجرة (742-743 ميلادي). وتوفي والده ماهان (أو ميسون) وهو شاب غض العود وعهد به إلى شخصية بارزة من بني تميم اسمه خزيمة ليرعاه؛ لذلك السبب قال إبراهيم في فترة لاحقة إنه مولى بني تميم.

وظهرت ميول إبراهيم الموسيقية في سن مبكرة، وعارض كثر أن يتّبع هذا الطريق ففرّ إلى الموصل حتى يتخلّص من العوائق التي وضعها أهله ورعاته أمامه، وبقي هناك سنة وتعلم الغناء لذلك لُقّب بالموصلي. ومن ثم ذهب إلى ري واكتسب معرفة معمقة بالموسيقى العربية والفارسية ومكث في تلك المنطقة مدة طويلة وتزوج امرأتين: الأولى: اسمها دوشار، والثانية: شاهيك، والثانية أنجبت له ابنه إسحاق وأولادًا آخرين.

ثم انتقل إلى بغداد واستقر هناك. وأشرف المغني سيراط، وهو من مغنّي تلك الحقبة، على تعليمه الألحان القديمة، ونجح بفضل دروس أستاذه الممتازة في صقل موهبته بالغناء ومهارته بعزف العود.

وكان الخليفة المهدي أول خليفة غنّى إبراهيم بين يديه، وكان قد نهاه عن مجالسة ابنيه موسى وهارون ومن معاقرة الخمر معهما. وقد رأينا سابقًا في مقال ابن جاني أن الخليفة المهدي جلد إبراهيم ثلاثمئة وستين جلدة لأنه لم ينصع إلى هذا الأمر.

وفي وقت لاحق عوّضه كلٌّ من موسى الهادي وهارون الرشيد بسخاء عما ألمّ به بسببهما. وعندما أصبح موسى خليفة منحه كثيراً من المزايا والعطايا فقدم له في مرة واحدة 150 ألف قطعة ذهبية (أي ما يعادل مليونين ومئة ألف فرنك فرنسي). وعندما جلس هارون الرشيد على سُدّة العرش بعد وفاة شقيقه أغدق عليه الهدايا السخية أيضًا فزاد ثراءه ثراء.

وهو لا يلمُّ في الغناء فحسب، بل يتمتع بفطنة وثقافة كبيرتين مما يجعل الحديث معه شائقًا للغاية، وقد حفظ الشعر حفظًا متقنًا. ولم يكن هارون الرشيد يستغني عنه أبدًا وقد أدخله إلى دائرته الخاصة والحميمة وكثيرًا ما تناول معه وحده الطعام والشراب، مما جعله يُلقَّب بالنديم." (ص.ص. 150-152)

مختارات ممّا قيل في أرمان- بيار كوسّان دي پرسڤال

عن الرحّالة

هنري والُّون، "نبذة تاريخيّة عن حياة أرمان-بيار كوسّان دي پرسڤال" في: *رسائل معهد فرنسة – اينستيتو دي فرانس*، 1888، 33-1، ص.215

https://www.persee.fr/doc/crai_0065-0536_1880_num_24_4_68665

"هو أمر مثير للفضول لم يقتصر تأثيره على لوحات المؤرّخ، بل تعداه إلى عادات الرجل، فهو لم يتقن خلال مهمته اللغة العربية وحسب (وهو أمر مفروض على من يعمل مترجمًا فوريًّا) بل ثمّن ميزات أغلى رفيق على قلب العربي ولا نقصد خادمه (فهذا شيء آخر) بل صديقه الحصان، ولذلك لا نجافي الصواب إذا اعتبرنا أن هذه السفرة جعلت زميلنا يقدّر عاليًا هذا الحيوان الأصيل ويستمتع كثيرًا عند امتطائه كل يوم." (ص. 217)

عن المعجم الفرنسي - العربي

هنري والُّون، المرجع السّابق

"وتوجبت مراجعة مضمونه ومتابعته في فترة الطباعة، وأوكل السيد دي كليرمون تونير هذه المهمة إلى صاحب

المنصب الجديد، وكان السيد كوسّان دي پرسڤال على قدر الثقة التي وضعها فيه. وصحّح الكتاب وأدخل عليه إضافات، حتى يتحقّق الهدف الذي أُلِّف من أجله. وقدّر المحررُ الشاب، في مقدمة قصيرة ومُهِمة وضعها في أول الكتاب المشترك، أن نسبة العمل الذي قام به هو تبلغ النصف تقريبًا (وهو لم يكن قطّ قادرًا، وهو يتكلم عن نفسه، على المبالغة) (ص. 218)

عن كتاب النّحو

سيلفستر دي ساسي: "قواعد العربيّة العامّيّة، من تأليف أرمان-بيار كوسّان دي پرسڤال" في: *جريدة العلماء*، نيسان، 1825، ص.249

https://bit.ly/3CDOst1

"ولا بد لنا، حتى نعطي فكرة عن اللغة العربية العامية وعلاقتها بالعربية الفصحى، أن نراجع مع السيد كوسّان كل أجزاء كتاب "القواعد"، وبما أن مهمتي تقتصر على إعطاء رأيي فيما إذا كان الكتاب يستحق أن ينال قبولًا حسنًا من الجمهور أم لا، سأكتفي بالقول بأنّ من صاغه، برأيي، اعتمد معرفةً معمّقة باللغة العربية الفصحى والعامية، ولديه معرفة صحيحة بالقواعد العامة، واعتمد منهجية واضحة، ورتّب كل الأجزاء

بشكل جيد، ولم يستخدم إلا تعابير واضحة، وقدّم القواعد بشكل جيد، وقد أصبحت مفهومة بفضل الأمثلة التي لم يضعها إلا عند الحاجة، وأخيرًا لم يهمل المؤلف الإعراب وهذه المادة مفصلة في اللغة الفصحى، ولكنها تقتصر في العامية على بعض قواعد التذكير والتأنيث والجمع.

وأرفق السيد كوسّان بكتاب القواعد الذي ألفه ملحقًا يتألف من عشرين حوارًا ومجموعة رسائل ووثائق وبطاقات بالعربية، مع ترجمتها إلى الفرنسية، وقد طبع على الحجر عددًا كبيرًا من هذه الوثائق، وهي مناسِبة جدًا لتمرين الطلاب وتعوديهم على قراءة أنواع مختلفة من الخطوط النسخية، وهذه عادة لا نكتسبها بشكل كامل عند قراءة الكتب المطبوعة والمخطوطات؛ لذلك أنصحُ من سيستخدم كتاب القواعد الخاص بالسيد كوسّان، أن يعتمد أيضًا على هذا الدفتر المؤلف من ستّ عشرة صفحة مطبوعة بعناية فائقة على الحجر.

إن السيد پرسڤال ورث حب لغات الشرق عن أبيه، وزاد في كتابه على ما يمكن تعلمه من الكتب معارف محلية لا تكتسب إلا بالسفر، لذلك يجعلنا مجلدُه نأمل في أن يستمر، وهو بيننا، بإيلاء الثقافة العربية عناية خاصة، فيحقق فيها تقدمًا جديدًا." (ص.ص. 248–249)

عن *تاريخ العرب قبل الإسلام*

هنري والُّون، المرجع السّابق

" لقد ملأ السيد كوسّان دي پرسڤال هذا الإطار الشاسع بطريقة شيقة، لكنّه توقف عند الحقبة التي تم فيها توحيد شبه الجزيرة العربية بكاملها أو لنقل فتحها؛ ولم يقبل قطّ أن يتوسع حتى يشمل الكتاب الفتوحات التي أوشكت أن تُنجَز، وهذا أمر لا ننفكّ نأسف له، ونحن نصل إلى نهاية هذا الكتاب الشائق." (ص.239)

عن كتاب *مداخل إلى نوادر عن أهمّ الموسيقيين العرب في القرون الثلاثة الأولى للإسلام*

"مذكرة تمهيدية: بقلم س. ديفريمري.

إنّ أَوَّل ما أثار انتباهي من بين المخطوطات التي تركها السيد "كوسّان دي پرسڤال" والتي عهدت عائلة هذا العالم المأسوف عليه إليّ بدراستها، عمل يؤسفنا أنه غير منتهٍ، ولكنه رغم ذلك جدير بالنشر، وهو ما نقدمه اليوم إلى قرّاء "الجريدة الآسيوية"؛ وسيجدون فيه الميزات التي طبعت كل الكتابات التي نشرها السيد "كوسّان دي پرسڤال؛ أي: معرفة متعمقة في

لغة العرب وتاريخهم خصوصًا في الحقبة التي سبقت الإسلام وأول القرون الهجرية، ووضوحًا في العرض، وأسلوبًا بسيطًا يخلو من التكلف لكنه مناسب للموضوع المعالج. ونجد هذه الميزات التي يشتهر بها كاتب "تاريخ العرب قبل محمد" المثقف والجاد في القطعة التالية أيضًا، فهي تضاهي كتاباته السابقة جودة.

وكما يظهر العنوان، فإن السيد "كوسّان دي پرسڤال" أراد الوصول بأبحاثه إلى القرن الهجريّ الثالث أي تقريبًا إلى الحقبة التي ذاع فيها صيت أبي الفرج الأصفهاني وقد فرز تصنيفه الكبير (كتاب الأغاني) بصبر وتؤدة، متسلحًا بريشته التي ما فارقت يده، فتوافَرَت لديه أغلبية المعلومات المدونة في السّير اللاحقة. لكنّ بصره ضعف، مما منعه من متابعة عمله بعد السيرة الثامنة عشرة، وهي الوحيدة التي تتناول موسيقيًا عاش في القرن الثالث للهجرة، مع أن هذا المغني واسمه اسحق بن إبراهيم الموصلي، أمضى جلّ حياته في القرن الذي سبق. وكم نأسف لهذه الفجوة، خصوصًا أن معرفتنا بتاريخ القرن الثالث للهجرة أقل من معرفتنا بالقرنين اللذين سبقاه، وكانت السير التي سيكرسها السيد "كوسّان دي پرسڤال" لموسيقيّي تلك الحقبة ستكشف لنا خصائص مهمة، ونحن نلاحظ عددًا منها

في السير التالية؛ وكم ستنفاجأ من حظوة بعض الموسيقيّين في بلاط الخلفاء أو لدى أقاربهم الأمراء، مما يسمح لنا بتتبع خطى حياتهم." (ص.ص. 1-2)

عن شخصيّته

هنري والُّون، المرجع السّابق

- " وأذاع، حتى قبل أن ينهي العمل (من تاريخ العرب قبل الإسلام)، النتائج الرئيسة بكل طيبة خاطر، ولم يخش ألّا يكون السبّاق في إصداره، وأراد بصدق أن ينشرها شخص آخر أكثر رشاقةً منه. وهكذا استطاع السيد نويل دو فرجي، مؤلف تاريخ شبه الجزيرة العربية المنشور في مجموعة "الكون الخلاب" أن يثري كتابه بمعلومات غريبة نسبها إلى السيد كوسّان دي پرسڤال فنكتشف لدى زميلنا نزاهةً تكاد أن تكون منقطعة النظير." (ص.ص. 223-224)

- "ولذلك لديكم الفرصة الآن لإيفائه قدره فتكتشفون صواب آرائه، وسلوكَه المحبّ والمتحفظ، وسموّ قلبه وروحه ورقّتهما" (ص. 240)

- " هم لم يُثنوا على علمه الكبير وتميز أعماله الفريدة وحسب، بل أيضًا على ميزتي البساطة والنّزاهة اللتين يتحلى بهما العالم الساكن فيه، فهو مستعدّ دائمًا لمدّ يد العون لكل عمل جاد، ولتزويد الآخرين بنصائحه ومعرفته، فلا ينقل كتبه وثمار عمله إلى طلابه وحسب، بل إلى نظرائه أيضًا، إلى من كان غيره سيعتبرهم منافسين له." (ص. 243)

بقلم الكتّاب العرب

الأب لويس شيخو اليسوعي، *الآداب العربيّة في القرن التّاسع عشر*، الجزء الثّاني، المطبعة الكاثوليكيّة، بيروت، 1926

"وأول من يستحقُّ أن تشق عليه الآداب جيوبها العلامة (كوسّان دو پرسڤال) (A.P. Caussin de Perceval) الذي سبق لنا ذكر والده. ولد في 13 كانون الأول سنة 1795 وانكب منذ شبابه على الدروس الشرقية ثم أرسلته حكومته بصفة ترجمان إلى الآستانة ثم إلى إزمير ثم جال ثلاث سنوات في بلاد الشام فسكن جبلها ومدنها وتوغل في باديتها حيث ابتاع لحكومته جيادًا أصيلة. وكان في سياحته أتقن اللهجات العربية العامية فألّف فيها غراماطيقيًا وأصلح معجم الأستاذ القبطي

اليوس بُختُر فجدد طبعه. وقد ندبته الحكومة إلى تدريس اللغة العربية في مكتب دروسها العليا فلم يلبث أن أحرز له شهرة كبيرة في التعليم. ثم خصّ حياته في دراسة آثار العرب وتاريخهم القديم وقد ألّف في ذلك كتابًا واسعًا في ثلاث مجلّدات لم يبلغ فيه أحد شأوه وقد نفد طبعه حتى بيع بثلاثمائة فرنك إلى أن يجدد طبعه بالنور والحجر. وللمسيو دي پرسڤال تآليف أخرى عديدة ومقالات قيّمة في كل آداب الشرق أخصها تراجم الموسيقيين العرب. كانت وفاته وقت حصار باريس وفيها مات في 15 كانون الثاني سنة 1871." (ص.ص. 57–58)

نجم الدّين خلف الله، "إلياس بُقْطُر: حكاية قاموس على حوافّ الاستعمار" في: *موقع العربي الجديد*، آب، 2020

https://bit.ly/3i44lAY

"أنجز بُقْطر أوّل قاموس فرنسي–عربي على الإطلاق، وكان، طوال تلك الفترة، يعمل على قاموس مزدوج، وهو نتاج عشر سنوات من التأمّل في معاني المفردات ومقابلاتها، وهو أوّل قاموس فرنسي–عربي على الإطلاق، ولكنّه لم يَطبَعه في حياته، لأنَّ يدَ المنون اختطفتْه يانعًا يوم 26 أيلول/ سبتمبر 1921، ولما يتجاوز السابعة والثلاثين من عُمره (...)

وتولّـــى زميلُه الفرنسي أرمان بيار كوسّان دي پرسڤال (1788-1877) كرسيَّ إلياس بقطر من بَعده، فأشرف على طبع القاموس وإصداره في مجلَّديْن حيث أتَمَّه سَنَة 1828. ولا بدّ من التأكيد أنّ زميلَه هذا أضاف إلى المعجم الأصلي بعض العبارات العاميّة والمداخل، ولا سيّما الشامية، التي جَمعها إبان إقامته في الشام، إلى جانب كلماتٍ أخرى ذَكرتها القواميس الإيطالية-العربية والإسبانية-العربية، وقد بنى إلياس بُقطر هذا القاموس على مبدأ شمول الألفاظ الفصيحة والعاميّة في الآن ذاته، ربما رغبةً منه في تجميع المفردات المستخدمة فعلًا في بداية القرن التاسع عشرَ، وليس العربية المُفترَضَة، المخبوءة في بطون المعاجم القديمة. كما ضمَّ القاموس العبارات الجاهزة والصيغ المستعملة في المناسبات، حتى يكون أداةً للتواصل ومادّة يستعين بها الطلّاب على التحدّث والفهم، فهذا ما كان يَهمّهم آنذاكَ، ضمن نقد خفيٍّ للفصحى المتقادمة واعتبارها، تقريبًا، لغةً ميّتَةً.

ومن اللافت أنه اضطرَّ، ضمن هذا الاجتهاد التوليديّ، إلى اقتراح جملٍ كاملةٍ كترجمةٍ للمُفردات الفرنسية التي ليس لها مقابل دقيق باللغة العربية، وذلك في مسعًى منه إلى تجنّب الخانات الصّفر والفراغ المُصطَلَحي."

د. محمود العقّاد، *تاريخ الدّراسات العربيّة في فرنسا عدد 167*، عالم المعرفة، تشرين الثّاني، 1992

"وكانت طريقة (پرسڤال)، في تعليم العربية العامية، هي أن يعرض أسس اللهجة نظريًا، ثم يمارسها بالمحادثة عمليًا، وأن يشرح لطلابه النصوص العامية المنشورة ملحقًا في كتابه عن النحو العربي العامي، ولم يقتصر الأمر على العامية، بل تعداها إلى العربية الفصحى السهلة في كتب مثل (تاريخ نقولا الترك) و(ألف ليلة وليلة) و(قصة عنترة)". (ص. 108)

من أهمّ أعمال أرمان - بيار كوسّان دي پرسڤال

(حسب تسلسل تاريخ صدورها)

إلياس بُقْطُر، *مُعجَم فرنسي – عربي*، أعاد النّظر فيه وأكملَه أ.ب. كوسّان دي پرسڤال، فيرمان – ديدو (Firmin-Didot)، باريس، 1828–1829

أرمان–بيار كوسّان دي پرسڤال، "دراسة لرواية عنتر ومختارات منها"، في: *الجريدة الآسيوية*، آب سنة 1833

https://bit.ly/3ADhZCD

أرمان–بيار كوسّان دي پرسڤال، *توطئة عن الأخطل، الفرزدق وجرير*، المطبعة الملكيّة، باريس، 1834

https://bit.ly/3CCVxtS

أرمان–بيار كوسّان دي پرسڤال، "دراسة لرسالة السّيّد فرينيل (Fresnel) عن تاريخ العرب قبل الإسلام" في: *الجريدة الآسيويّة*، كانون الأوّل 1836

https://bit.ly/3lVCpAs

أرمان-بيار كوسّان دي پرسڤال، قواعد *اللغة العربيّة الدّارجة في عامّيّات المشرق وبلاد البربر*، المكتبة الشّرقية، للسيّدة دونداي-ديبري (Dondey-Dupré)، باريس، 1843

أرمان-بيار كوسّان دي پرسڤال، *بحث في تاريخ العرب قبل الإسلام، وخلال عصر محمّد، حتّى انضواء القبائل كلّها تحت لواء الشريعة الإسلاميّة*، ثلاثة أجزاء، باريس، 1847-1848

https://gallica.bnf.fr/ark:/12148/bpt6k62702328.texteImage

أرمان-بيار كوسّان دي پرسڤال، *مداخل إلى نوادر عن أهمّ الموسيقيين العرب في القرون الثلاثة الأولى للإسلام*، المطبعة الوطنيّة، باريس، 1874